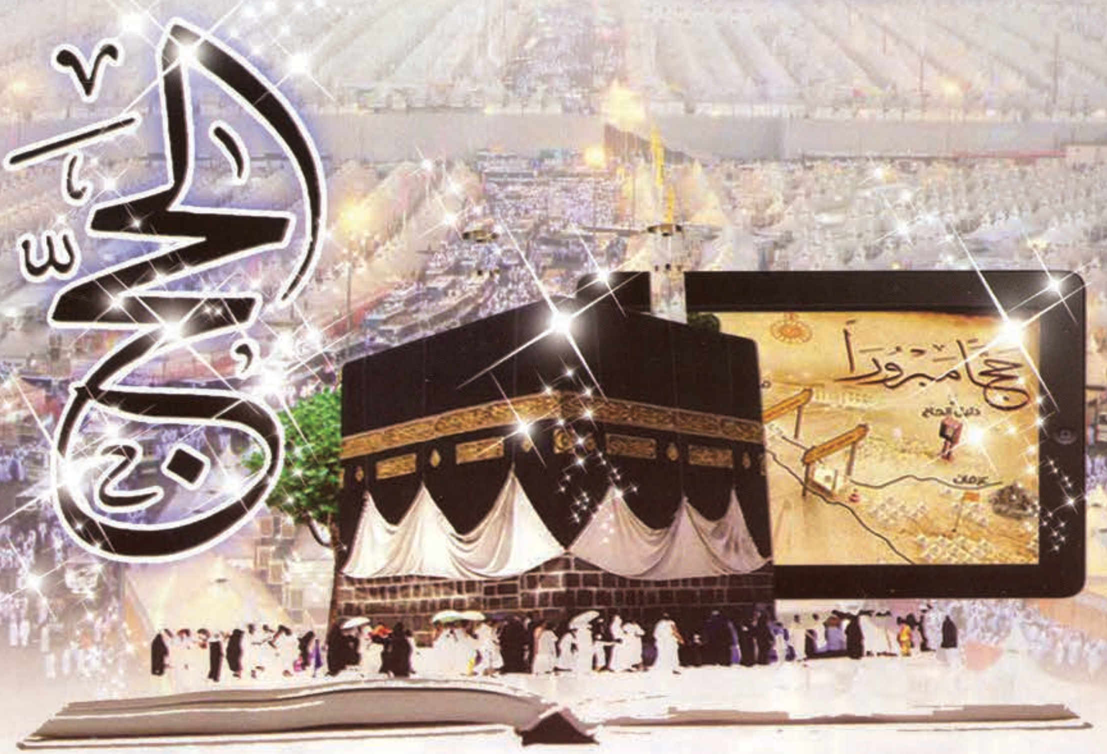
صفقة القرن.. والمؤامرة الكبرى

التوحيد

تصدر عن جماعة أنصار السنة المحمدية
العدد ٥٦٣ السنة السابعة والأربعون ذو القعدة ١٤٣٩ هـ
الثمن ٣ جنيهات

من أصول الديانة..
حفظ الأمانة



من مقاصد الحج ومنافعه

- خطورة التعصب وأضراره
- وقفات شرعية مع ظاهرة الزواج العرفي
- الأوقات المنهي عن الصلاة فيها

رئيس مجلس الإدارة

أ.د. عبد الله شاكر الجنيدي

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ﴾

صاحبة الامتياز

جمعية أنصار السنة المحمدية

المشرف العام

د. عبد العظيم بدوي

اللجنة العلمية

جمال عبد الرحمن

معاوية محمد هيكل

د. مرزوق محمد مرزوق

محمد عبد العزيز السيد

السلام عليكم

الصلاة عُدَّة في الرخاء والشدة!

اعتنى النبي صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع بتوطيد أركان الأسرة، فكانت وصاياه للرجال والنساء، على نفس الطريقة التي سار عليها القرآن الكريم، ففي أثناء الحديث الجاد عن الطلاق وأحكامه يحدث توقف مفاجئ لينتقل الحديث إلى أمر آخر وهو المحافظة على الصلوات والصلاة الوسطى، ثم يعود الكلام مرة أخرى عن بقية أحكام الطلاق، فما سرُّ هذا التوقف المفاجئ ليتحدث عن الصلاة وأهميتها، ثم العودة إلى أحكام الطلاق مرة أخرى؟

والجواب يُظهر أن للصلاة أهمية قصوى وعظمى عند الله، وأنها عنوان على الالتزام ببقية أحكام الشرع من زواج وطلاق وغيره، فإذا صلحت صلح سائر العمل، وإذا فسدت فمضيعها لا خير فيه، ولا فائدة ترجى منه، والصلاة حينئذ هي العُدة، في الرخاء والشدة، وهي السلاح، المدافع عن الحق المستباح، فمن حافظ عليها كان محاربًا في الميدان ومعه سلاحه، فلا يخسر المعركة، كما أن التعبير يوحي بأن المحافظة على الصلاة سببٌ لتوفيق الله في حل المشاكل الأسرية، كما يوحي بأن أداء العباد الحقوق بينهم في الزواج والطلاق، مثل أداء الصلاة لله عز وجل، فإذا كان أصحاب المشاكل الأسرية لا يصلون، أو يصلون وهم عن صلاتهم ساهون، فالقربة مخرومة، ولن تنتهي الخصومة، والبركة في الحياة معدومة، والحياة ورباط الزوجية أيامٌ معدودة.

التحرير

إدارة التحرير || ٨ شارع قولة عابدين - القاهرة
ت: ٢٣٩٣٦٥١٧ - فاكس: ٢٣٩٣٠٦٦٢

المركز العام || WWW.ANSARALSONNA.COM
هاتف: ٢٣٩١٥٥٧٦ - ٢٣٩١٥٤٥٦

البريد الإلكتروني || MGTAWHEED@HOTMAIL.COM

رئيس التحرير || GSHATEM@HOTMAIL.COM

قسم التوزيع والاشتراكات || ت: ٢٣٩٣٦٥١٧ || ISHTRAK.TAWHEED@YAHOO.COM

مطابع الأهرام التجارية

رئيس التحرير:

جمال سعد حاتم

مدير التحرير الفني:

حسين عطا القراط

في هذا العدد

مطابع الأهرام التجارية
قليوب - مصر



سكرتير التحرير:

مصطفى خليل أبو المعاطي

الإخراج الصحفي:

أحمد رجب محمد
محمد محمود فتحي

الاشتراك السنوي

٢- في الداخل ١٠٠ جنيهاً بحوالة فورية باسم مجلة التوحيد . على مكتب بريد عابدين ، مع إرسال صورة الحوالة الفورية على فاكس مجلة التوحيد ومرفق بها الاسم والعنوان ورقم التليفون.

٢- في الخارج ٣٠ دولاراً أو ١٠٠ ريال سعودي أو مايعادلهما.

ترسل القيمة بسويفت أو بحوالة بنكية أو شيك على بنك فيصل الإسلامي فرع القاهرة . باسم مجلة التوحيد . أنصار السنة حساب رقم / ١٩١٥٩٠

ثمن النسخة

مصر ٣٠٠ قرش ، السعودية ٦ ريالات ، الإمارات ٦ دراهم ، الكويت ٥٠٠ فلس، المغرب دولار أمريكي ، الأردن ٥٠٠ فلس، قطر ٦ ريالات ، عمان نصف ريال عماني ، أمريكا دولاران ، أوروبا ٢ يورو

افتتاحية العدد

من مقاصد الحج ومنافعه

بقلم/ الرئيس العام

د/ عبدالله شاكر الجنيدي

www.sonna_banha.com

الحمد لله الذي فرض على عباده حج بيته الحرام، وجعل قصده مكفرًا للذنوب والآثام، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، اللهم صلِّ عليه وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعدُ:

فقد فرض الله الحج على عباده المؤمنين، وجعله موسمًا يتقربون فيه إلى ربهم، ويطلبون منه حاجاتهم، ويلجأون إليه في سائر أمورهم، وأخبر نبيه الأمين صلى الله عليه وسلم أنه من أحب الأعمال إلى الله، كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: سُئل رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أي الأعمال أفضل؟ قال: إيمان بالله، قال: ثم ماذا؟ قال: الجهاد في سبيل الله، قال: ثم ماذا؟ قال: حج مبرور». (البخاري: ٢٦، ومسلم: ٨٣).

وهذه الشعيرة العظيمة التي يعظم المتلبس بها ربه ومولاه، تشتمل على فوائد عظيمة، ومقاصد جليلة، يجب على قاصدي البيت العتيق معرفتها، ليتحقق لهم ما أرادوه، ويرجعوا من حجهم بأجر وغنيمة، ومن مقاصد الحج ما يلي:

١ - تحقيق التوحيد:

إنَّ التوحيد هو الأصل الذي من أجله شُرِعَتْ العبادات، وما بُنِيَ البيت العتيق إلا لتحقيق التوحيد، وما خلَقَ الله الخلق إلا ليعبدوه وحده دون سواه، قال الله تعالى: « وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ » (الذاريات:٥٦)، فهو الإله المعبود الذي لا ندَّ ولا شبيه ولا مثيل له، وهو الذي يعطي ويمنع، وينفع ويضر، ويقضي الحاجات ويستجيب الدعوات، وعندما هيَّأ الله لإبراهيم عليه السلام مكان البيت وأعلمه به نهاه عن الشرك، وأن يهيئه للعابدين القاصدين وجه الله، قال الله تعالى: «وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ » (الحج: ٢٦).

ومعنى الآية: لا تشرك بي شيئًا من الشركاء كائنًا ما كان، وقد ذكر ابن حجر بإسناده عن مجاهد في قوله تعالى: «وَطَهِّرْ بَيْتِيَ » (الحج:٢٦)، قال: من الشرك، كما ذكر عن عبيد بن عمير أنه قال: «من الآفات والريب». (انظر تفسيره: ١٧/١٠٦).

وقال ابن كثير: «هذا فيه تقريع وتوبيخ لمن عبد غير

الله؛ وأشرك به من قريش، في البقعة التي أسست من أول يوم على توحيد الله وعبادته وحده لا شريك له، وقوله: «لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ» (الحج:٢٦)، أي: اجعله خالصًا لهؤلاء الذين يعبدون الله وحده لا شريك له، فالطائف به معروف، وهو أخص العبادات عند البيت، فإنه لا يفعل ببقعة من الأرض سواها». (تفسير ابن كثير ٢٩٨/٣).

وهو بهذا ينص على أنه يحرم الطواف بغير الكعبة، والله عز وجل لم يشرعه إلا عندها فحسب، وكان النبي صلى الله عليه وسلم يظهر التوحيد في الحج في أسمى معانيه ويعلمه لأصحابه، وصيغة التلبية تشعر بذلك: «لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك، لا شريك لك». (البخاري: ١٥٤٩، ومسلم: ٢٨١١).

ويلاحظ فيها نفي الشريك عن الله، وإثبات العبادات لرب الأرض والسماوات. قال الشيخ عبد المحسن العباد-حفظه الله-: «وقد اشتملت تلبية رسول الله صلى الله عليه وسلم على إثبات التوحيد والبراءة من الشرك، وهو مقتضى كلمة الإخلاص (لا إله إلا الله)، فإن قوله: «لبيك اللهم لبيك» بمعنى (إلا الله)، وقوله: «لا شريك لك» بمعنى (لا إله)، والحج كغيره من العبادات يجب أداؤه خالصًا لوجهه وأن يكون مطابقًا لسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم والإخلاص والمتابعة شرطا قبول العمل، واشتملت التلبية أيضًا على تعظيم الله والثناء عليه، وأنه سبحانه وتعالى مالك الملك المتفضل بالنعم المستحق للحمد والثناء، وأما تلبية المشركين فهي مشتملة على نقض التوحيد بالشرك؛ إذ يقولون في تلبيتهم: «لبيك لا شريك لك إلا شريكًا هو لك»».(انظر: تبصير الناسك بأحكام المناسك: ص ٩٠، ٩١.)وكان أكثر دعاء النبي صلى الله عليه وسلم يوم عرفة: «لا إله إلا الله وحده لا شريك له»؛ كما في حديث طلحة بن عبيد الله بن كريز أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «أفضل الدعاء دعاء يوم عرفة، وأفضل ما قلت أنا والنبيون من قبلي لا إله إلا الله وحده لا شريك له». (أخرجه مالك في الموطأ/١٠٥).

وهذا يدل على أن دعاء الله بالتوحيد أكثر صوابًا، وأقرب إجابة وأنفع للعبد، قال ابن عبد البر: «وفيه تفضيل الدعاء بعضه على بعض، والأيام بعضها على بعض، وأن ذلك أفضل الذكر؛ لأنها كلمة الإسلام والتقوى، وقال آخرون: أفضله: الحمد لله رب العالمين، لأن فيه معنى الشكر، وفيه من الإخلاص ما في لا إله إلا الله». (شرح الزرقاني على الموطأ ٣٨/٢).

ولذلك فإن التوحيد يزيد رسوخًا في قلب الحاجّ، ويعلن براءته من الشرك الذي بُعث لحربه النبي صلى الله عليه وسلم وغيره ممن تقدَّمه من الأنبياء والمرسلين، وعلى رأسهم خليل الرحمن إبراهيم عليه السلام الذي قال الله فيه: «إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ» (النحل: ١٢٠)، والحاج وهو ينتقل من منسك إلى آخر لا يعبد إلا الله وحده مع التسليم لله تعالى في كل ما يقوم به، فهو يرمي الجمرات ويقبل الحجر الأسود طاعة وعبودية لله، ويبيت بالمزدلفة ومنى استجابة وخضوعًا لله، وهذه من مظاهر العبودية التي يتقرب العبد بها إلى مولاه، ولا يجوز أن يقدمها لسواه.

ومن هنا أقول لكل من قصد البيت الحرام: يجب أن تكون جميع أعمالك خالصة لله، وأن تسلم من الرياء والسمعة لتنال القبول، واحذر مما ينافي التوحيد حتى لا تبطل عملك، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «قال الله تبارك وتعالى: أنا أغنى الشركاء عن الشرك، مَن عمل عملاً أشرك فيه معي غيري تركته وشركه». (مسلم: ٢٩٨٥).

والحديث يفيد أن عمل المرائي باطل ولا ثواب له فيه.

٢- الحج يعمق في النفوس قاعدة: توحيد مصدر التلقي:

أهل السنة والجماعة يعظمون النصوص ويتقيدون بها ولا يخرجون عنها، وعندهم أن الدين كله مصدره الوحي الإلهي قرآنًا كان أو سنة صحيحة، وجميع ما تعبَّدنا الله به في هذين الأصلين، ولا يجوز للمسلم أن يخرج عنها، أو أن يتردد بين المذاهب المختلفة ويأخذ منها ما يراه، وإنما يلتزم بالشرع المنزَّه عن الأباطيل، وجميع أعمال الحج قائمة على التسليم فيها للخبر الوارد في الشرع ، وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم وهو يحجّ بأصحابه يربيهم على ذلك، ومن ذلك قوله لهم كما في حديث جابر: «لتأخذوا مناسككم فإني لا أدري لعلي لا أحج بعد حجتي هذه». (مسلم: ١٢٩٧).

قال النووي رحمه الله: «هذه اللام لام الأمر، ومعناه: خذوا مناسككم، وهكذا وقع في رواية غير مسلم، وتقديره: هذه الأمور التي أتيت بها في حجتي من الأقوال والأفعال والهيئات هي أمور الحج وصفته، وهي مناسككم فخذوها عني واقبلوها واحفظوها، واعملوا بها وعلموها الناس، وهذا الحديث أصل عظيم في مناسك الحج». (شرح النووي على مسلم: ٩/٤٥).

٣- الحج ووحدة المسلمين:

إن من أبرز منافع الحج اجتماع المسلمين من مشارق الأرض ومغاربها حول بيت الله الحرام؛ حيث يلتقي هناك الأبيض والأسود، والغني والفقير، والحاكم والمحكوم متجردين من كل زينة، وفي هذا مظهر عظيم من مظاهر اجتماع الأمة ووحدتها، وقوتها وتلاحمها، وهناك يزدادون تعارفًا وتآلفًا، ويؤكدون على ما بينهم من تراحم ومودة، وتزداد أواصر المحبة بينهم، ويتعاونون على البر والتقوى والمعروف والعمل الصالح، مستجيبين لقول ربهم: «وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ» (المائدة:٢)، ومعتبرين بقوله سبحانه: «وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ» (المؤمنون:٥٢)، ومن شاهد هذه المواقف يلمس بوضوح ما يكون بين الحجاج من أخوة ومحبة وتلاحم، ويلاحظ كيف يناقشون قضاياهم ويوحّدون كلمتهم ويلمّون شملهم، ولا توجد فريضة يجتمع فيها المسلمون بهذا العدد كفريضة الحج.

٤- ربط حاضر الأمة بماضيها:

إن المسلم حين يأتي إلى البيت العتيق، ويذهب إلى منى وعرفات يتذكر مَن سبقه إلى هذه الأماكن، فيذكر بناء البيت، وخليل الرحمن الذي أذّن بأمر الله في الناس بالحج، يتذكر رجالاً دعوا إلى توحيد الله وإقامة شرعه من سائر الأنبياء والمرسلين، واتباع هذا النبي الأمين صلى الله عليه وسلم يتذكر كل ذلك، فيدفعه إلى السير في هذا الموكب الإيماني الذي يضرب بجذوره في أعماق التاريخ، ويحث على المحافظة على توحيد رب العالمين الذي هو في الأصل دعوة الأنبياء والمرسلين.

٥- الحج يذكّر العبد باليوم الآخر:

إن الذي يتأمل أعمال الحج يجد أنها تربط العبد وتذكّره بالمصير الذي سيؤول إليه كل حي، فهو عندما يودِّع أهله لسفره ويترك وطنه يتذكر رحيله من الدنيا بالكلية إلى الدار الآخرة، وعندما يخلع ملابسه الذي اعتادها وألفها ليلبس ملابس الإحرام يتذكر اليوم الذي سيجرِّده فيه غيره من ملابسه ليكفّنه في قماش أبيض ليوضع بعد ذلك في قبره، وعندما يلتقي بجموع الحج حول الكعبة، وفي عرفة ومزدلفة ورمي الجمار يتذكر الموقف العصيب الذي يجمع فيه رب العالمين الأولين والآخرين لفصل القضاء والحساب، كل هذه المواقف يجب أن يتذكر بها العبد اليوم الذي سيرحل فيه ويلقى ربه، فيستقيم سلوكه ويستعد للقاء ربه.

أسأل الله تبارك وتعالى أن يتقبل من الحجاج حجهم، وأن يُسَلّمهم في جميع أعمالهم، وأن يردهم إلى بلادهم سالمين غانمين، وأن يرزقنا الحج والعمرة والوفاة على الإيمان، وصلِّ اللهم وسلم وبارك على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين .

بقلم رئيس التحرير
جمال سعد حاتم
GSHATEM@HOTMAIL.COM
GSHATEM@YAHOO.COM

صفقة القرن.. والمؤامرة الكبرى

الحمد لله مالك الملك، يُعزُ أهل طاعته، ويذل أهل معصية، وبعد:

فبعد أيام مرت على نقل السفارة الأمريكية من تل أبيب إلى القدس المحتلة، والاعتراف بها عاصمة للكيان الصهيوني، يبدأ الرئيس الأمريكي ترامب وادارته الانتقال إلى المرحلة الثانية من خطته التي حاكها بنفس وصياغة إسرائيلية لجعل صفقة القرن أمرًا واقعًا، وشواهد ما تم تسريبه عمدًا منها يسير إلى مآلات حاكها الاسرائيليون والأمريكان.. على غرار وعد بلفور البريطاني عندما زرعوا اليهود في أرض فلسطين سنة ١٩٤٨م.

وترامب يخلع القناع الذي ارتداه السابقون من رؤساء أمريكا، ويعلن بكل تبجح ولا مواربة عن تنفيذه لنقل السفارة، والاعتراف بالقدس عاصمة للدولة اليهودية، ثم تأتي المرحلة الثانية، وهي الشروع في طرح صفقة القرن التي تُعدُ - حال تنفيذها - نكبة جديدة للشعب الفلسطيني، خاصة مع مراهنة ترامب على الحالة الاقتصادية للشعب الفلسطيني، وأنها ستجبره على قبول صفقة القرن، وتأجيج الخلافات والانشقاقات الفلسطينية لإضعاف السلطة الفلسطينية والضغط عليها، وعلى دول الجوار لتمرير الصفقة، ولكن الله سبحانه سيُذهب كيدهم، ويمحق مكرمهم، فاللهم رُدَّ كيدهم في نحورهم.

فأدركوا السفينة قبل أن تغرق، وكفى ضعفًا وهوانًا، ولنفق من غفوتنا قبل فوات الأوان، وحسبنا الله ونعم الوكيل.

صفقة القرن ليست مستحدثة!!

إن المؤامرات على أرض الأقصى وبيت المقدس لم تتوقف منذ اتفاقيات «سيكس بيكو»، مرورًا بوعد بلفور حتى يومنا هذا، وكان من أبرز هذه المؤامرات: تمكين اليهود من هذه الأراضي المقدسة في ظل اغتصابات بريطانيا لها، ثم تتابعت المؤامرات واحدة تلو الأخرى؛ لأن الهدف من تمكين اليهود أبعد وأعمق من تنفيذ وعد بلفور، وأبعد من إيجاد وطن قومي لليهود، فهناك مخطط غربي يرمي إلى إبعاد الأمة عن مشروعها الحضاري، وقد كان من أبرز أهدافه إقامة كيان سياسي لليهود في فلسطين، هو الحيلولة دون وحدة الأمة العربية والإسلامية.

ومن أجل ذلك؛ فإن المحافظة على هذا الكيان وتثبيته فيما يسمى بمنطقة الشرق الأوسط هو هدف استراتيجي ثابت لا يتغير عند الدول الغربية، فالمؤامرة مستمرة فهي قديمة ومُتجددة.

أما صفقة القرن التي يجري الحديث عنها هذه الأيام، فهي عبارة عن خطة سياسية رسمتها أمريكا وساسة اليهود لحل القضية الفلسطينية، تهدف إلى خدمة المشروع الصهيوني داخل

فلسطين، والتنازل عن ركائزها الأساسية التي أقرت في المحافل الدولية، وسُميت بصفقة القرن نظرًا لأهميتها للإدارة الأمريكية وللكيان الصهيوني، وللدول المجاورة.

ويأتي البُعد التاريخي لتلك الصفقة من أن أمريكا قد عرضت هذا الأمر وتلك المؤامرة، وهو توطين قسم من الشتات الفلسطيني في صحراء سيناء لإنهاء قضية اللاجئين على الرئيس الأسبق عبد الناصر بالتنسيق مع الأونروا (وكالة الأمم المتحدة لإغاثة وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين)، ولكن فشلت تلك المحاولة في توطين ٦٠ ألف فلسطيني في سيناء، وأعيد طرح هذا المشروع من قِبَل أمريكا في عهد الرئيس السابق مبارك، وأيضًا تم إفشاله، وتأتي تسريبات الصفقة المشبوهة المسماة بـ«صفقة القرن» التي من أبرز ملامحها توطين قسم من مهجَّري فلسطين في بعض الدول العربية المجاورة، والبعض من قطاع غزة داخل صحراء سيناء حتى منطقة العريش، لتكون هذه المنطقة مستقبلاً نواة لدولة فلسطينية منزوعة السلاح.

التناغم الأمريكي الإسرائيلي في صفقة القرن

ثمَّة ما يوحي بأن الصفقة التي حيكَتْ بليل بين الأمريكان واليهود، ويتم تسويقها على أنها حلٌ للقضية الفلسطينية بعد نقل السفارة الأمريكية للقدس، والاعتراف بالقدس من قِبَل أمريكا عاصمةً للكيان الصهيوني، ووقف الدعم الأمريكي لوكالة غوث وتشغيل اللاجئين «الأونروا»، وإغلاق مكاتب منظمة التحرير الفلسطينية في واشنطن؛ بقرب طرح ما يسمى بـ«صفقة القرن».

هذه الصفقة التي وضعها دبلوماسيون دوليون يأتي على رأس أهم أهدافها: إبقاء القدس والبلدة القديمة تحت سلطة الاحتلال مع استبعاد عودة اللاجئين، والإبقاء على المستوطنات، وعدم إقامة الدولة الفلسطينية على حدود ١٩٦٧م، وإقامة حكم ذاتيّ موسع في الضفة الغربية.

إن الاهتمام الأمريكي والدولي قد تراجع عن القضية الفلسطينية إلى أدنى مستوى له، وذلك لوجود أربعة عوامل بارزة ساهمت في تراجع القضية الفلسطينية، منها الأزمات التي تفجَّرت في الشرق الأوسط؛ لأن إسرائيل تعمل على تفجير التناقضات في العالم العربي، وهي في أفضل حالاتها؛ لأن القضية الفلسطينية قد تأثرت أيما تأثُر بالانقسام الفلسطيني.

وتروِّج إسرائيل للصفقة على أنها حركة اقتصادية ضخمة ستنشأ عبر شبكة سكة حديد، وطريق سريع، وأنبوب نفط يمتد نحو بناء غزة الكبرى مما يحقق عائدًا ماليًا ضخمًا لكل من مصر وغزة والأردن وإسرائيل.

إن الإدارات الأمريكية المتعاقبة والحالية ومنذ احتلال فلسطين عام ١٩٤٨م، قد دعت إلى التوطين، وترامب وإدارته متحمسون جدًا لصفقة القرن هذه، فضلاً عن مجاراة هذه الصفقة للاتجاهات الجديدة التي تقوم على إيجاد حلول للبؤر الملتهبة في العالم عبر حلول متعددة الأطراف على أساس ربحي اقتصادي، وبحسب مصالح اللاعبين الكبار فيما يشبه استعمارًا جديدًا لاحتلال الدول وتفتيتها، ونهب ثرواتها.

ويأتي السؤال المُلِح: هل سيكون الطريق إلى صفقة القرن سهلاً، أم أنه سيلقى مصير المبادرات الأمريكية السابقة التي باءت بالفشل، وذهبت أدراج الرياح؟!

إن المتتبع للموقفين الأمريكي والإسرائيلي في الآونة الأخيرة يجد اشتراطًا تامًا إلى حد التناغم في القضايا المحورية، وتحديدًا تلك المتعلقة بالمسار الفلسطيني وهو أمر معتاد، خاصةً في قضية يتقاسم فيها الطرفان الاهتمام والحوار والمتابعة، كما هو حال التوافق على الحق الديني والتاريخي لليهود في القدس، والدولة الفلسطينية المنزوعة السلاح، وحل قضية اللاجئين الفلسطينيين خارج حدود الخط الأخضر، ووقف كافة أشكال المقاومة المسلحة، والضغط باتجاه التطبيع والاعتراف بيهودية الدولة والكيان قبل الشروع في أيّ تسوية، وإعادة صياغة العلاقات العربية- الإسرائيلية على أسس

اقتصادية جديدة تحتل فيها إسرائيل موقع القيادة والمركز، ويحتل العرب موقع الأطراف، فإسرائيل الأكثر تقنية بخبراتها، وأموال النفط العربي واليد العاملة الفلسطينية الرخيصة؛ من شأنه تحويل إسرائيل إلى نقطة الاستقطاب والتصدير في نفس الوقت.

مواصفات الدولة الفلسطينية حسب صفقة القرن

وتركز صفقة القرن في مضمونها على أن تكون الدولة الفلسطينية المقترحة منزوعة السلاح باستثناء قوات أمنية محدودة تعمل تحت الرقابة وليس لها أي حق في إبرام المعاهدات العسكرية، واحتفاظ الاحتلال بغلافها الجوي والبري والبحري للرد على أي تهديدات أمنية من إيران وحزب الله، ناهيك عن الارتباط المباشر وغير المباشر لاقتصادها بإسرائيل، أي أننا سنكون أمام مجرد منطقة صناعية ومحمية معطلة الأوصال على أرض منزوعة السيادة والإدارة، وليس أمام دولة بالمعنى المتعارف عليه دوليًا، وبالمفهوم الأمريكي مجرد حكم ذاتي مسلوب الصلاحيات.

إن استئناف المفاوضات دون شروط مسبقة وبدء العرب بالتطبيع الفوري في كافة المجالات لإثبات حُسن النية تجاه الاحتلال تحت إطار السلام الاقتصادي، وهو المصيدة القديمة المتجددة لاستجلاب أموال النفط العربي بغية توظيفها في عمليات التوطين وانعاش الاقتصاد الإسرائيلي، وجعلها نقطة عبور لتحويل مشروع السلام العربي إلى مبادلة التطبيع بالانسحاب من أجزاء من أراضي ١٩٦٧م، وإقامة الدولة الفلسطينية على ما تبقَّى منها، مع احتفاظ الاحتلال الإسرائيلي بوادي الأردن، «وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ» (الأنفال: ٣٠).

ويبقى السؤال الذي يواجه العرب والمسلمين، وهو: ماذا لديهم من عوامل قوة وضغط لجعل الموازين في صالحهم، خصوصًا بعد ارتضائهم بتجزئة مسارات التفاوض والحلول، وتخليهم عن سلاح المقاومة، أم إنهم سيكتفون بالتعويل والرهان على الوسيط الأمريكي غير المؤتمن، والذي لم يكن في يوم من الأيام نزيهًا ومحايدًا!!

المخطط الأمريكي لاقتطاع سيناء

وحسب المخطط التآمري لما تم تسريبه عن صفقة القرن، نشرت الصحف العربية والدولية بنودًا لما احتوت عليها الصفقة المرفوضة مصريًا وأردنيًا، وإعلان القيادة المصرية عن تمسكها بحل الدولتين في حدود ١٩٦٧م، وإقامة دولة فلسطينية على تلك الأراضي عاصمتها القدس الشرقية، وحق العودة للاجئين الفلسطينيين، وتنص صفقة القرن المزعومة على أن تتنازل مصر عن ٧٢٠كم٢ من أراضي سيناء لصالح الدولة الفلسطينية المقترحة، وهذه الأراضي عبارة عن مستطيل ضلعه الأول ٢٤كم٢، ويمتد بطول ساحل البحر من مدينة رفح غربًا، وحتى حدود مدينة العريش، أما الضلع الثاني فيصل طوله إلى ٣٠ كم٢ من غرب كرم أبو سالم، ويمتد جنوبًا بموازاة الحدود المصرية الإسرائيلية، وتبلغ مساحة هذه الأراضي ٧٢٠كم٢، والتي سيتم ضمها إلى غزة تضاعف مساحة القطاع ثلاث مرات، حيث إن مساحته الحالية تبلغ ٣٦٥كم٢ فقط.

وتنص البنود الواردة في صفقة القرن على أنه مقابل الأراضي التي ستتنازل عنها مصر للفلسطينيين تحصل مصر على أراضي من إسرائيل جنوب النقب «منطقة وادي فيران»، وتبلغ مساحة تلك المنطقة التي ستنقلها إسرائيل لمصر حسب الصفقة ٧٢٠كم٢.

ولا شك أن توسعة غزة حسب ما أعلن ووفقًا للمشروع الإسرائيلي المقترح هذا يمنحها ٢٤كم٢ من السواحل المطلقة على البحر المتوسط بكل ما يترتب على ذلك من مزايا مثل التمتع بمياه إقليمية تصل ٩ أميال بحرية، وخلق فرص وفيرة للعثور على حقول الغاز الطبيعي في هذه المياه.

كما أن إضافة ٧٢٠كم٢ لغزة تمكن الفلسطينيين من إنشاء ميناء دولي كبير في القطاع الغربي من غزة الكبرى ومطار دولي على بُعد ٢٥كم٢ من الحدود الإسرائيلية، والأهم بناء مدينة جديدة تستوعب مليون شخص على الأقل،

وتشكل منطقة تطور ونمو طبيعي لسكان غزة والضفة، بل ويمكنها من استيعاب أعداد اللاجئين الفلسطينيين المقيمين في دول أخرى.

ولكن هيهات أن تفرط مصر في ذرة واحدة من أراضيها مهما كانت المغريات.

صفقة القرن والدور الفلسطيني الفاعل في الخارج

في الوقت الذي تستعد فيه أمريكا لإعلان صفقة القرن بعد التمهيد لها بتسريب بنودها، وإرسال الوفود إلى دول الشرق الأوسط لإطلاع تلك الدول على تفاصيل الصفقة في ظل التطورات الإقليمية الرهيبة والدولية الخطيرة التي تستهدف القضية الفلسطينية؛ فإنه يستوجب على فلسطيني الخارج والذي يقع عليهم واجب تاريخي وإنساني كبير، فالفلسطينيون في الخارج يبلغ تعدادهم ستة ملايين فلسطيني؛ ثلاثة أرباعهم من فئة الشباب المتعلم في جميع المناحي والمجالات، والفلسطينيون في أوروبا على وجه الخصوص لديهم قدرات كبيرة يجب استغلالها في كل الميادين، وضرورة رفع قضايا ضد الاحتلال الإسرائيلي في المحاكم الدولية، وعدم التلكؤ في هذا الأمر.

وتجدر الإشارة إلى أن الفلسطينيين ذوي الملايين الستة معظمهم لاجئون في الدول العربية والأردن ولبنان وسوريا ودول الخليج، كما يعيش أعداد كبيرة منهم في الدول الأوروبية والولايات المتحدة الأمريكية، ودول أخرى، ويجب عليهم أن يمارسوا كل أنواع الضغوط لمجابهة تلك الصفقة المشبوهة.

جدير بالذكر أن مصطلح «صفقة القرن» قد دخل دائرة التداول منذ تولي ترامب منصب الرئاسة، وبدأت تفاصيلها تتسرب إلى وسائل الإعلام بعد زيارات «كوشنر» المبعوث الأمريكي للشرق الأوسط، وعرض تفاصيل الخطة على الدول التي زارها، والتمهيد لها، وبحسب بعض المصادر الإعلامية فإن الصفقة تتضمن إقامة دولة فلسطينية تشتمل أراضيها على قطاع غزة والمنطقة (أ، ب)، وبعض أجزاء المنطقة (ج) في الضفة الغربية، كما تتضمن تأجيل وضع مدينة القدس، وعودة اللاجئين إلى مفاوضات لاحقة، والبدء بمحادثات سلام إقليمية بين دولة الاحتلال الإسرائيلي والدول العربية بقيادة المملكة العربية السعودية.

من المحن تأتي المنح

تفاءلوا بالخير تجدوه، فبالرغم مما يمر به عالمنا العربي والإسلامي من أزمات ونكبات، وما يُحاك بنا من مؤامرات، إلا أننا لا نفقد الثقة بالله، ولقد مرت أمتنا الإسلامية بفترات من الضعف والتفكك، ومن هوان الحكام بعد أن غزا الصليبيون أراضيهم، واغتصبوا ديارهم لأكثر من مائتي عام متواصلة، وكانت في حالة من التفكك والضعف والهوان لا تُحْسَد عليها، ومن كان ينظر إلى حال الأمة في تلك الحقَب المظلمة يُظن أنها لن تقوم لها قائمة أبدًا؛ إلا أن الأمة قد نهضت من سُباتها، واستفاقت من كبوتها، وهيَّأ الله سبحانه وتعالى لها قادة أفذاذ قادوها ووحَّدوا بلادها، فأفشلت كل مشاريع الكفار، وحررت ما اغتُصب منها، وما حدث في عهد الصليبيين حدث بنفس الطريقة في عهد المغول الوثنيين، وفي عهد الاستعمار الأول، وقد رفضت الشعوب في العالم الإسلامي كل المشاريع لتصفية قضية الأرض المباركة، ابتداءً من مشروع التقسيم عام ١٩٤٧م، وانتهاءً بما يخطط له اليوم.

إن صفقة القرن لا تعدو كونها مشروعًا أمريكيًا قديمًا حديثًا، تريد حكومة ترامب من وراء تجسيدها في الواقع هذه الأيام إلى تحقيق مكسب سياسي كبير، ليكون ذلك دعمًا له في ظل الهزات التي يتعرض لها في البيت الأبيض، وأن هذا المشروع لن ينفذ إلا على جثث الآلاف بل الملايين من أبناء أمتنا الإسلامية، وإن إرادة الله سبحانه فوق إرادة هؤلاء، وأن مكر الله عز وجل فوق مكرهم.

نسأل الله سبحانه وتعالى أن يجعل مكر هؤلاء الكفرة اللئام في نحورهم، وأن يسلم أمة الإسلام من شرورهم، اللهم آمين، والحمد لله رب العالمين.

سُورَةُ مُحَمَّد

باب التفسير

صلى الله عليه وسلم

الحلقة التاسعة

قال تعالى: «فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ» (محمد: ١٩).

إعداد د. عبدالعظيم بدوي

أي: إذا علمت أن مدار السعادة هو التوحيد والطاعة، ومدار الشقاوة هو الشرك والعصيان، فاثبُتْ على ما أنت عليه من العلم بالوحدانية والعمل بموجبه. (إرشاد العقل السليم: ٨٩/٦).

فمن علم بأن الله تعالى هو المنفرد بالخلق والتدبير، علم بذلك أنه المنفرد بالألوهية، ولذلك قال تعالى: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ» (البقرة: ٢١- ٢٢).

عن ابن عباس: أي لا تشركوا بالله غيره من الأنداد التي لا تنفع ولا تضر وأنتم تعلمون أنه لا رب لكم يرزقكم غيره، وقد علمتم أن الذي يدعوكم إليه الرسول صلى الله عليه وسلم من التوحيد هو الحق الذي لا شك فيه. (تفسير القرآن العظيم: ٥٧/١).

ومن علم بأن الله تعالى هو المنفرد بالنعم الظاهرة والباطنة، الدينية والدنيوية، فإن ذلك يوجب تعلق القلب به ومحبته، والتأله له وحده لا شريك له. (تيسير الكريم الرحمن: ٧٤/٧).

ولذلك قال تعالى: «اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ (٣٢) وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ (٣٣) وَآتَاكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ» (إبراهيم: ٣٢- ٣٤)، وقال تعالى: «وَإِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ ۖ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٦﴾ إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا ۚ إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِندَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ ۖ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ» (العنكبوت: ١٦- ١٧).

وقوله تعالى: «وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ» أي مما يكون منه صلى الله عليه وسلم خلاف الأولى، وإلا فالأنبياء معصومون من كبائر الذنوب. وقد تكرر هذا الأمر له صلى الله عليه وسلم في مواضع:

قال تعالى: «إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلَا تَكُن لِّلْخَائِنِينَ خَصِيمًا ﴿١٠٥﴾ وَاسْتَغْفِرِ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا» (النساء: ١٠٥- ١٠٦)، وقال تعالى: «إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلَا تَكُن لِّلْخَائِنِينَ خَصِيمًا ﴿١٠٥﴾ وَاسْتَغْفِرِ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا» (النصر: ١-٣).

ولقد استجاب صلى الله عليه وسلم لأمر ربه أحسن استجابة، وقام به خير قيام، فكان لسانه مشغولا دائما بالاستغفار:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: «وَاللَّهِ إِنِّي لأَسْتَغْفِرُ اللهَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ فِي الْيَوْمِ أَكْثَرَ مِنْ سَبْعِينَ مَرَّةً» (صحيح البخاري ٦٣٠٧).

وَعَنِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنه قَالَ: إِنْ كُنَّا لَنَعُدُّ لِرَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم فِي الْمَجْلِسِ الْوَاحِدِ مِائَةَ مَرَّةٍ: «رَبِّ اغْفِرْ لِي وَتُبْ عَلَيَّ إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ». (صحيح سنن أبي داود ١٥٠٢).

وَعَنْ عَائِشَةَ- رضي الله عنها - قَالَتْ: مَا صَلَّى النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم صَلَاةً بَعْدَ أَنْ نَزَلَتْ عَلَيْهِ: «إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ» إِلَّا يَقُولُ فِيهَا: «سُبْحَانَكَ رَبَّنَا وَبِحَمْدِكَ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي». (صحيح البخاري ٤٩٦٧).

وقوله تعالى: «وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ» أي واستغفر للمؤمنين والمؤمنات، وهذا إكرام من الله تعالى لهذه الأمة، حيث أمر نبيهم صلى الله عليه وسلم أن يستغفر لذنوبهم وهو الشفيع المجاب فيهم.(معالم التنزيل: ١٥٨/٥).

ومما لا شك فيه أنه صلى الله عليه وسلم كما امتثل أمر ربه له بالاستغفار لذنبه قد امتثل الأمر بالاستغفار للمؤمنين والمؤمنات.



عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ سَرْجِسَ رضي الله عنه قَالَ: رَأَيْتُ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم وَأَكَلْتُ مَعَهُ خُبْزًا وَلَحْمًا- أَوْ قَالَ ثَرِيدًا - قَالَ: فَقُلْتُ لَهُ: أَسْتَغْفَرَ لَكَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم؟ قَالَ: نَعَمْ وَلَكَ. ثُمَّ تَلَا هَذِهِ الآيَةَ: «وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ». (صحيح مسلم ٢٣٤٦).

وقد رغب صلى الله عليه وسلم المؤمنين في استغفار بعضهم لبعض:

عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: «مَنِ اسْتَغْفَرَ لِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ كَتَبَ اللهُ لَهُ بِكُلِّ مُؤْمِنٍ وَمُؤْمِنَةٍ حَسَنَةً». (أخرجه الطبراني في مسند الشاميين (٢٣٤/٣)، وقال الهيثمي في «المجمع» (٢١٣/١٠): إسناده جيد، وحسنه الألباني في صحيح الجامع ٥٩٠٢).

وقوله تعالى: «وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ»: يَقُولُ: فَإِنَّ اللهَ يَعْلَمُ مُتَصَرَّفَكُمْ فِيمَا تَتَصَرَّفُونَ فيه فِي يَقَظَتِكُمْ مِنَ الأَعْمَالِ، وَمَثْوَاكُمْ إِذَا ثَوَيْتُمْ فِي مَضَاجِعِكُمْ لِلنَّوْمِ لَيْلًا، لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ، وَهُوَ مُجَازِيكُمْ عَلَى جَمِيعِ ذَلِكَ. (جامع البيان: ٥٤/٢٦).

كما قال تعالى: «وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰ أَجَلٌ مُّسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ» (الأنعام: ٦٠)، وهذا كله يوجب أن يخشى ويتقى، وأن يستغفر ويسترحم. (الكشاف: ٣٢٤/٤).

وفي قوله تعالى: «فاعْلَمْ أَنَّهُ لا إلَهَ إلَّا اللهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ» دلالة على أن العلم يستلزم العمل، حيث بدأ بالعلم وثنى بالعمل:

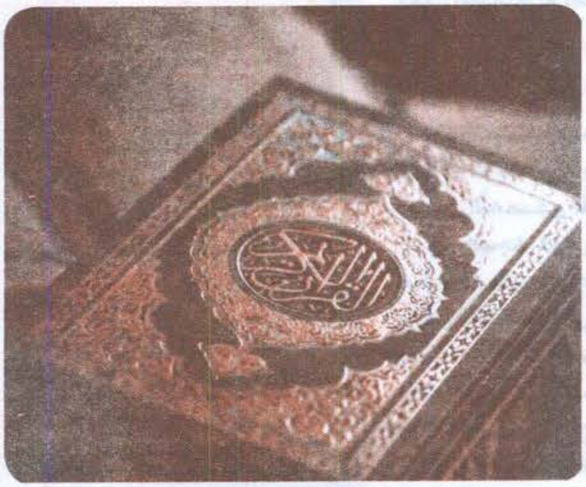
عَنْ سُفْيَانَ بْنِ عُيَيْنَةَ أَنَّهُ سُئِلَ عَنْ فَضْلِ الْعِلْمِ فَقَالَ: أَلَمْ تَسْمَعْ قَوْلَهُ حِينَ بَدَأَ بِهِ: «فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ» (محمد: ١٩)، فَأَمَرَ بِالْعَمَلِ بَعْدَ الْعِلْمِ. وَقَالَ تعالى: «اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ» (الحديد: ٢٠)، ثم قال: «سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ» (الحديد: ٢١)، وقال تعالى: «وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ» (الأنفال: ٢٨)، ثم قال بعد: «فَاحْذَرُوهُمْ» (التغابن: ١٤). (الجامع لأحكام القرآن: ٢٤٢/١٦).

وَقَالَ سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ: «الْعِلْمُ يَهْتِفُ بِالْعَمَلِ فَإِنْ أَجَابَهُ وَإِلَّا ارْتَحَلَ». وَقَالَ مَكْحُولٌ: « كَانَ رَجُلٌ يَسْأَلُ أَبَا الدَّرْدَاءِ. فَقَالَ لَهُ: كُلُّ مَا تَسْأَلُ عَنْهُ تَعْمَلُ بِهِ؟ قَالَ: لا، قَالَ: فَمَا تَصْنَعُ بِزِيَادَةِ حُجَّةِ اللهِ عَلَيْكَ «. وَعَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رضي الله عنه أنَّه قَالَ: «إِنَّمَا أَخَافُ أَنْ يُقَالَ لِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ: أَعَلِمْتَ أَوْ جَهِلْتَ؟ فَأَقُولُ: عَلِمْتُ. فَلا تَبْقَى آيَةٌ فِي كِتَابِ اللهِ تَعَالَى آمِرَةٌ أَوْ زَاجِرَةٌ إِلَّا جَاءَتْنِي تَسْأَلُنِي فَرِيضَتَهَا، فَتَسْأَلُنِي الْآمِرَةُ هَلِ ائْتَمَرْتَ؟ وَالزَّاجِرَةُ هَلِ ازْدَجَرْتَ؟ فَأَعُوذُ بِاللهِ مِنْ عِلْمٍ لَا يَنْفَعُ، وَمِنْ نَفْسٍ لَا تَشْبَعُ، وَمِنْ دُعَاءٍ لَا يُسْمَعُ «. (جامع بيان العلم وفضله: ٣/٢).

عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «لَا تَزُولُ قَدَمَا ابْنِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ عِنْدِ رَبِّهِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ خَمْسٍ: عَنْ عُمُرِهِ فِيمَا أَفْنَاهُ، وَعَنْ شَبَابِهِ فِيمَا أَبْلَاهُ، وَمَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ، وَفِيمَ أَنْفَقَهُ، وَمَاذَا عَمِلَ فِيمَا عَلِمَ». (صحيح الترغيب: ١٢٥).

وقد ذمَّ الله تعالى الذين يقولون ما لا يفعلون، فقال سبحانه: «سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (١) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ (٢) كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ» (الصف: ١-٣)، وقال تعالى: «أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ» (البقرة: ٤٤).

عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: «مَرَرْتُ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِي عَلَى قَوْمٍ تُقْرَضُ شِفَاهُهُمْ بِمَقَارِيضَ مِنْ نَارٍ. قُلْتُ: مَا هَؤُلَاءِ؟ قَالَ: هَؤُلَاءِ خُطَبَاءُ أُمَّتِكَ مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا، كَانُوا يَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَيَنْسَوْنَ أَنْفُسَهُمْ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا يَعْقِلُونَ». (أخرجه أحمد ١٢٢٣٢، وقال الهيثمي ٢٧٦/٧: رجاله رجال الصحيح. وأخرجه الضياء (٢٦٤٦) وقال: إسناده صحيح).



وللحديث بقية إن شاء الله، والحمد لله رب العالمين.

باب
الاقتصاد
الإسلامي

التطبيق المعاصر للاقتصاد الإسلامي

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

الإسلام منهج شامل لكافة جوانب الحياة، عقيدة وشريعة، عبادات ومعاملات، دين ودولة يمزج بين المادية والروحانية في إطار متوازن، صالح للتطبيق في كل زمان ومكان، لا يحده عصر ولا قطر لأنه دين الفطرة السوية.

كما أن الشريعة الإسلامية تجمع بين الثبات والمرونة، ثبات القواعد الأصولية الكلية، ومرونة الفروع والتفصيلات والوسائل والإجراءات، وهذا ينطبق تماماً على الاقتصاد الإسلامي، حيث يقوم على مجموعة من القواعد والضوابط الشرعية التي تمثل الثوابت، كما يتسم بالمرونة من حيث أساليب ووسائل وأدوات وإجراءات التطبيق ليتواءم مع ظروف كل زمان ومكان.

إعداد: أ.د. حسين حسين شحاتة
الأستاذ بجامعة الأزهر

ولقد مرت تطبيقات الاقتصاد الإسلامي بحالات مختلفة منذ تأسيس الدولة الإسلامية في المدينة المنورة وحتى اليوم، كما أن هناك محاولات معاصرة في بعض الدول الإسلامية لتطبيقه وظهرت بعض النماذج العملية لذلك منها على سبيل المثال: المصارف الإسلامية، وشركات الاستثمار الإسلامي، وشركات ومؤسسات التأمين والتكافل الإسلامي، ومؤسسات الزكاة، ومؤسسات الوقف ونحو ذلك، كما قامت بعض الكيانات الاقتصادية والمالية التقليدية بمحاولة تطبيق بعض الصيغ والمنتجات الاقتصادية والمصرفية الإسلامية.

وعلى المستوى القومي، حاولت بعض الدول تطبيق الاقتصاد الإسلامي نسبياً مثل: دولة السودان، ودولة ماليزيا، ودولة باكستان، وغير ذلك، ولقد حقق بعضها نجاحاً في بعض الجوانب وأخفق في بعضها، وما زالت الجهود متواصلة في أقطار الأمة العربية والإسلامية.

ويهدف هذا الفصل إلى تناول تقييم محاولات التطبيق المعاصر لمفاهيم وأسس ومعايير ونماذج الاقتصاد الإسلامي مع التركيز على: المقومات والمحددات والمعوقات والنماذج والآفاق.

والمقاصد المنشودة هي دعم ودفع عجلة التطبيق لتعم جميع المجالات والأقطار حتى تكون الهيمنة للاقتصاد الإسلامي.

تطبيق الاقتصاد الإسلامي في صدر الدولة الإسلامية:

الاقتصاد الإسلامي موجود منذ صدر الدولة الإسلامية والذي أرسى أسسه وقواعده رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن ساروا على هديه ونهجه، فعلى سبيل المثال وضع رسول الله صلى الله عليه وسلم أسس المعاملات الاقتصادية والمالية القائمة على القيم الإيمانية والأخلاقية ومنها: الخشية من الله، واستشعار مراقبته، والإيمان بالمحاسبة الأخروية، والصدق والأمانة، والتسامح والقناعة، والأخوة والحب، وتحريم الربا، والغش، والاحتكار، والاكتناز، والاستغلال، والجشع، والغرر، والجهالة،

والمقامرة، والمنابذة، والنجش، والعينة، وكل ما يؤدي إلى أكل أموال الناس بالباطل، فتروي كتب السيرة أنه بعد أن فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من بناء المسجد في المدينة آخى بين المهاجرين والأنصار وأسَّس السوق لتكون أساساً للمعاملات الاقتصادية الإسلامية.

ويعتبر فقه المعاملات هو الدستور الاقتصادي الإسلامي، وهو شامل للقواعد الكلية الاقتصادية ولقد سار المسلمون على هذا الدستور في معاملاتهم والتي انتشرت في جميع بقاع العالم وطبقها كذلك غير المسلمين، وظل الحال على ذلك حتى جاء أعداء الإسلام إلى ديار المسلمين وبدّلوا نعمة الله كفراً وأحلوا النظم الاقتصادية الوضعية محل النظام الاقتصادي الإسلامي، فعلى سبيل المثال ألغوا نظام الاستثمار الإسلامي وأحلوا محله النظام الربوي، وألغوا نظام زكاة المال وأحلوا محله نظام الضرائب، وألغوا نظام التكافل الاجتماعي وأحلوا محله نظام التأمين وهكذا... ولقد تُوج ذلك بإلغاء الخلافة الإسلامية وتطبيق العلمانية التي تنادي بالفصل بين الدين والدولة وتقنين الربا والضرائب والتأمين وغير ذلك من النظم الاقتصادية الوضعية.

ومن يدرس ويحلل النظم الاقتصادية المطبقة في الدول الإسلامية الآن تجدها تسير في النهج الاشتراكي أو الرأسمالي أو خليط منهما معاً، وكل هذا يسير على أساس الفصل بين الاقتصاد والقيم الايمانية والأخلاقية، وانتشرت المفاهيم العلمانية ومنها: دع ما لقيصر لقيصر، وما لله لله. الغاية تبرر الوسيلة. الدين لله والوطن للجميع. وترتب على ذلك التخلف والحياة الضنك ومحق البركة، وهذا ظاهر وجلي في معظم الدول العربية والإسلامية.

محاولات الحركات الإسلامية المعاصرة في تطبيق الاقتصاد الإسلامي:

لقد ظهرت مجموعة من الحركات الإسلامية في أوائل الثلاثينيات لتذكر المسلمين بشمولية الإسلام وأنه دين ودولة، ومصحف وسيف، وشعائر وشرائع، ويجب على الدولة أن تتخذ من الدين سنداً في كل شيء، وقامت هذه الحركات بتأسيس العديد من الكيانات الاقتصادية الإسلامية التي تلتزم بالقواعد والأحكام الشرعية، كما قامت بدور كبير في تطبيق مفاهيم وأسس ونظم الاقتصاد الإسلامي... إلى أن اندلعت الثورات السياسية في بعض البلدان العربية وألغت تلك المفاهيم والأسس وطبقت المفاهيم (الأسس) الاشتراكية والرأسمالية الاقتصادية والتي سببت الكساد والتخلف في معظم تلك البلدان ونهبت خيراتها بواسطة أعداء الإسلام.

ثم ظهرت الصحوة الإسلامية مرة أخرى في أوائل السبعينيات في جميع البلدان العربية والإسلامية وامتدت إلى مجال الاقتصاد والمعاملات وكان من أبرز معالمها في هذا الشأن ما يلي:

- اهتمام الدعاة والعلماء بالاقتصاد الإسلامي والدعوة إليه.
- زيادة عدد البحوث والدراسات في مجال الفكر الاقتصادي الإسلامي بفروعه المختلفة وإنشاء جمعيات ومراكز للاقتصاد الإسلامي.
- تدريس الاقتصاد الإسلامي وفروعه في عديد من الجامعات العربية والإسلامية وإنشاء أقسام ومعاهد وكليات متخصصة في ذلك.
- إصدار مجلات متخصصة في الاقتصاد الإسلامي.
- تنظيم ندوات ومؤتمرات وملتقيات للاقتصاد الإسلامي.
- انتشار المؤسسات والشركات الاقتصادية والمالية الإسلامية ومنها على سبيل المثال:-
  - المصارف والبنوك الإسلامية.
  - مؤسسات وهيئات التأمين الإسلامي.
  - شركات ودور الاستثمار الإسلامي.
  - صناديق الاستثمار الإسلامي.
- إنشاء هيئات ومجامع متخصصة في فقه الاقتصاد الإسلامي.
- ولقد تميزت هذه الفترة بالتطبيق بجانب التنظير.

مقومات تطبيق الاقتصاد الإسلامي:

من أهم مقومات التطبيق المعاصر للاقتصاد الإسلامي ما يلي:

أولاً: مقوم المجتمع الاقتصادي الإسلامي.

ثانياً: مقوم الحكومة المسئولة عن تطبيق الاقتصاد الإسلامي.

ثالثاً: مقوم العنصر البشري الذي يتولى كافة شئون تطبيق الاقتصاد الإسلامي.

وسوف نتناول هذه المقومات بشيء من التفصيل في البنود التالية.

أولاً: مقوم المجتمع الاقتصادي الإسلامي:

يتطلب تطبيق الاقتصاد الإسلامي وجود المجتمع الذي يفهم أفراده الإسلام كعقيدة وشريعة، ولديه الحافز والدافع والباعث والتضحية لتطبيق شريعته بصفة عامة، وضوابط وقواعد الاقتصاد الإسلامي بصفة خاصة، المجتمع الذي يوقن أفراده أن في تطبيق الاقتصاد الإسلامي منافع اجتماعية واقتصادية وسياسية، وقبل ذلك هو جزء من تطبيق الشريعة وهو عبادة ربانية.

ويجب أن يتوافر في أفراد هذا المجتمع مجموعة من القيم والأخلاق والثقافة الاقتصادية الإسلامية ما تعينه على التطبيق، وهذا ما يطلق عليه «الحس والسلوك الاقتصادي الإسلامي»، ولن يتحقق ذلك إلاّ من خلال التربية والثقافة والتدريب، فإذا وُجد الفرد الاقتصادي الإسلامي، ووُجد البيت الاقتصادي الإسلامي، وُجد المجتمع الاقتصادي الإسلامي ومنه تَخْرُج قيادات الاقتصاد الإسلامي المسئولة عن التطبيق.

وكان هذا هو منهج رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل إنشاء السوق الإسلامية في المدينة حيث اهتم ببناء المجتمع عقدياً وأخلاقياً، ثم بعد ذلك بَنى للمسلمين سوقاً يتعاملون فيها وفق فقه المعاملات، وقام بنفسه بالإشراف على الأسواق ليطمئن من سلامة التطبيق، وسار على نهجه الخلفاء الراشدون من بعده.

وتعاني المجتمعات الإسلامية الآن من العديد من المشكلات التي قد تقف حجر عثرة في مجال تطبيق الاقتصاد الإسلامي منها على سبيل المثال ما يلي:

- جهل معظم الشعوب بالشريعة الإسلامية وبالاقتصاد الإسلامي.

- الانبهار بالفكر الاقتصادي الوضعي سواء كان ليبراليًا أو شيوعيًا أو اشتراكيًا أو متذبذبًا بين هذا أو ذاك.

- تقصير علماء الاقتصاد الإسلامي ودعاته في التوعية عن الاقتصاد الإسلامي من خلال وسائل الإعلام المعاصرة المتاحة.

- انحراف بعض الجماعات والحركات الإسلامية عن الفكر الإسلامي السليم وتشويه صورة الإسلام أمام الناس على اختلاف فئاتهم، وهذا أدى إلى صدود الناس عن قبول كل ما هو إسلامي، وبالتالي رفض المشروع الاقتصادي الإسلامي.

- الإعلام الموجَّه ضدّ الإسلام والمسلمين من قبل الأعداء وهذا أدَّى إلى معوقات لدعوة المجتمع نحو الاقتصاد الإسلامي.

وفي هذا المقام يجب على العلماء والدعاة وأساتذة الاقتصاد الإسلامي بذل الجهود من حيث تنمية الوعي الاقتصادي الإسلامي في المجتمع وذلك من خلال السبل والوسائل المختلفة ومنها ما يلي:-

تطوير المناهج التعليمية بما يخدم قضية تطبيق الاقتصاد الإسلامي.

-تطبيق منهج التدرج والتيسير الذي قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يسروا ولا تعسروا وبشروا ولا تنفروا......» (رواه مسلم والبخاري وأحمد).

- تطوير مناهج تنمية وعي المجتمع نحو قبول فكرة تطبيق الاقتصاد الإسلامي في ضوء الأساليب المعاصرة.

- تجنب المسائل الفرعية موضع الخلاف، والبدء في تنمية وعي المجتمع في المسائل الكلية.

وللحديث بقية إن شاء الله. والحمد لله رب العالمين.

الحلقة الثانية

الأخوة صفة نادرة ولزماننا مغادرة

عناية صاحب النُّبوَّة صلى الله عليه وسلم بتحقيق معاني الأخُوَّة

إعداد د. عماد عيسى
المفتش بوزارة الأوقاف

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

كانت عناية نبينا صلى الله عليه وسلم كبيرة بإرساء معاني الأخوة وترسيخ قواعدها وإظهار معالمها في الصحابة رضي الله عنهم، ولتكون نافعة للأجيال بعدهم فتعقد العُرى وتشد الأواصر بين المسلمين وتوثق العلائق بينهم.

ومما يدلُّ على ذلك الأحاديثُ التي جاء فيها ذكْرُ الأخوة، والحث على مُراعاتها، وهي كثيرة: منها ما رَبط الإيمان وأناط الإسلامَ بالأخوة كقوله صلى الله عليه وسلم: «المؤمنُ أخو المؤمن» رواه أبو داود.

وقال صلى الله عليه وسلم: «لا يُؤمن أحدكم حتى يُحبَّ لأخيه ما يُحبُّ لنفسه» رواه الشيخان.

وقال صلى الله عليه وسلم: «المُسْلِمُ أَخُو المُسْلِمِ» رواه الشيخان.

وقال صلى الله عليه وسلم: «وكونوا عباد الله إخوانا» رواه الشيخان.

وشرّف النبي صلى الله عليه وسلم أبا بكر بقوله: «لو كنت متخذا خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا ولكنْ أخي وصاحبي» رواه البخاري، وقال لأبي بكر أيضا: أنت أخي في دين الله وكتابه. وقال له أيضا صلى الله عليه وسلم: «أنت أخي في الدنيا والآخرة» رواه الترمذي.

وبشر من كان في خدمة أخيه بقوله: «ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته» رواه الترمذي، وقال: «والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه» رواه أبو داود والترمذي.

وجعل المساعدة له صدقة قال صلى الله عليه وسلم: «وإفراغك من دلوك في دلو أخيك لك صدقة» رواه الترمذي.

وقال صلى الله عليه وسلم: «من كان عنده خُبزٌ فليبعث به إلى أخيه» رواه ابن ماجه.

وجعل من النفع للأخ الدعاء بظهر الغيب وهو من أعلام المحبة وعلاماتها القوية فعَنْ صَفْوَانَ بْنِ عَبْدِ اللهِ، وَكَانَتْ تَحْتَهُ الدَّرْدَاءُ، قَالَ: قَدِمْتُ الشَّامَ، فَأَتَيْتُ أَبَا الدَّرْدَاءِ فِي مَنْزِلِهِ، فَلَمْ أَجِدْهُ وَوَجَدْتُ أُمَّ الدَّرْدَاءِ، فَقَالَتْ: أَتُرِيدُ الْحَجَّ الْعَامَ، فَقُلْتُ: نَعَمْ، قَالَتْ: فَادْعُ اللهَ لَنَا بِخَيْرٍ، فَإِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَقُولُ: «دَعْوَةُ الْمَرْءِ الْمُسْلِمِ لِأَخِيهِ بِظَهْرِ الْغَيْبِ مُسْتَجَابَةٌ، عِنْدَ رَأْسِهِ مَلَكٌ مُوَكَّلٌ كُلَّمَا دَعَا لِأَخِيهِ بِخَيْرٍ، قَالَ الْمَلَكُ الْمُوَكَّلُ بِهِ: آمِينَ وَلَكَ بِمِثْلٍ» رواه مسلم.

وكذا عد الابتسامة في وجه الأخ صدقة؛ قال صلى الله عليه وسلم: «تبسمك في وجه أخيك لك صدقة».

ووعد من ردَّ عن عِرْض أخيه بقوله: «من ردَّ عن عِرْض أخيه ردَّ الله عن وجهه النار يوم القيامة» رواه ابو داود والترمذي.

وأمر بنصره ظالمًا بردِّه عن الظلم ونصره مظلومًا بردُّ حقه عليه فقال صلى الله عليه وسلم: «انصر أخاك ظالمًا أو مظلومًا» رواه البخاري.

وحرَّم النَّيل من دَم الأخ أو من عِرْضه الأخ أو من ماله فقال صلى الله عليه وسلم: «كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه» وقال صلى الله عليه وسلم: «فما نلتُما من عِرض أخيكم آنفًا أشدُّ من أكل منه» رواه أبو داود.

وقال صلى الله عليه وسلم: «كل مسلم على مسلم محرَّم أخوان نصيران» رواه النسائي.

وجعل المؤمن مرآة أخيه بقوله صلى الله عليه وسلم: «إن أحدكم مرآة أخيه» رواه الترمذي.

ونهى عن أمور تكدِّر صفو الأخوة وتمزق حبال الصلة وتقطع عروتها؛ قال صلى الله عليه وسلم: «لا يخطب أحدكم على خطبة أخيه».

وقال أيضا صلى الله عليه وسلم: «لا يسوم الرجل على سوم أخيه» رواه الترمذي وقال صلى الله عليه وسلم: «ولا يزيدن على بيع أخيه» رواه البخاري. وقال صلى الله عليه وسلم: «لا يقيم الرجل أخاه من مجلسه» رواه البخاري.

وقال صلى الله عليه وسلم: «لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاثة أيام» رواه الشيخان.

وقال صلى الله عليه وسلم: «بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم» رواه مسلم.

ونهى أن تسعى المرأة في طلاق أختها فقال صلى الله عليه وسلم: «ولا تسأل المرأة طلاق أختها» رواه البخاري.

وحدد حقوق وواجبات الأخوة فقال صلى الله عليه وسلم: «للمرء المسلم على أخيه من المعروف ستٌّ: يُسَلِّمُ عَلَيْهِ إِذَا لَقِيَهُ، وَيُشَمِّتُهُ إِذَا عَطَسَ، وَيَعُودُهُ إِذَا مَرِضَ، وَيُجِيبُهُ إِذَا دَعَاهُ، وَيَشْهَدُهُ إِذَا تُوُفِّيَ، وَيُحِبُّ لَهُ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ، وَيَنْصَحُ لَهُ بِالْغَيْبِ» رواه أحمد.

الأخ الوفي والخليل الصفي والصاحب النجي:

وهو عملة نادرة في زمان التمرد والكدر والخيانة والمكر والخديعة، قال الله تعالى: «وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ»، وقال أيضا: «واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا»، وقال صلى الله عليه وسلم: «لا تصاحب إلا مؤمنا ولا يأكل طعامك إلا تقي» رواه أبو داود.

وقاربْ إذا قاربت حرًّا فإنما
يَزِينُ ويُزْري بالفتى قرناؤُهُ

إن من نعمة الله على عبده أن يوفقه لصاحب وفي وأخ نجيّ فمن مَنَحه الله صاحبًا كريمًا وأخا قويما فقد أجاد له اختيارَ الرَّفيق ورزقه حظه من التوفيق فليتمسَّكْ به وليعْضض عليه بناجذَيْه ولا يَتجاوزْهُ فيندمُ ولا يتخطاه فيُثلم ولا يَسْلم.

ولعلَّ أصدقَ وصف فيه هو ما ذكره الله سُبحانَه على لسان موسى الكليم في قوله وهو يَسأل رَبَّه سُبْحانَه: «وَاجْعَل لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي هَارُونَ أَخِي اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيرًا» (طه: ٢٥ - ٣٣)، وقد أجابه الله بقوله: «سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَانًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِآيَاتِنَا أَنْتُمَا وَمَنِ اتَّبَعَكُمَا الْغَالِبُونَ» (القصص: ٣٥).

خواطر في وصف الأخ الصادق:

لقد ندر هذا الجنس من الناس لأنه مجالٌ ضنك، ومعتركٌ صعبٌ، كم زلّتْ فيه أقدامٌ، وضلتْ عنده أفهام أقوام، وافترقتْ بالسَّالكين الطرقات، وأشرف كثيرٌ من النّاس على أودية الهَلَكات، وكأنه بات بحرًا تخوضه، وأصبح صعبًا تروضه، لا تأمن النجاح والظفر بالمطلوب منه، فأنت في ذلك على شك كبير ومنه في ريب قوي.

إن الصاحب الصادق في أُخُوَّته ومحبته هو أعظم من أن يصفه كلمي وينبِّه على شأوه قلمي، لأنَّ الأخ الوفي والصاحب الصادق صيدٌ ثمينٌ كصيد الغزالة من مَرابض الأسد وهذا صعبٌ وجودُه ومتعسِّرٌ إيجادُه وأحيانًا يَتعذَّرُ بالمَرَّة لا سيّما في أيام العُسْرة والشدَّة أعْني عُسْرَةَ الأخلاقِ لا عُسْرَةَ القُوت والمال وشدَّة المؤُونة.

إنَّ الصاحبَ الصادقَ تجدُه مَجْبولًا على الخَيْر لا يَتَصَنَّعه ولا يتطبَّعُه بل هو سجيّة جارية فلا يستطيع ان يتركه ولا يمكن أن يتخلى عنه لذا تجده في العلاقة وثيق القصب نقيَّ العصب، يجري بأُخوّته في الصعداء، ويمشي فيها على الاستواء، فليس الذي تجدُه يُصيب مرة ويُخطئ أخرى أو يأتي بما يُوافق المروءة حينًا ويقع في ما يخالف المروءة أو ينقضُها حينًا آخر.

إن الأخَ الصَّادقَ طويل العذار في قَبُول الأعْذار، أمينٌ قليل العثار عند الاستشارة وأخْذ القرار، من أندى الناس راحة (الراحة: كف اليد) وأرحبهم ساحة.

الأخُ الصَّادقُ يَجْمعُ ولا يُشرِّد، ولا يُفرِّق ولا يَتمرَّد، ولا يطوّح به نَزَق التمرُّد إلى رَمْي أصحابه والقدْح في الصُّلحاء منهم والفُضَلاء.

الأخُ الصَّادقُ مغيث لأخيه ولو كان صاحبه في بَحْر تجري سفينة راكبه في مَوْج كالجبال، وتَسير في مُعْتَرك تَتَضاءل عندهُ شَجاعة الأبطال، وتتحيَّرُ فيه عُقول الألبَّاء من الرِّجال.

الأخ الصادقُ منَّة جَسيمةٌ وقد يكون مَبْدأ لمنح كريمة وأساسًا لنعم عظيمة.

الأخ الوفي وثيق الصلة كالحبل المَمْدود والعهْد المعْهود، واضحٌ سبيله راشد دليله.

الأخ الصادقُ ناصح أمين يقف معك بعين الإنصاف العريَّة عن المجاملة والمخاتلة والمخادَعة والانحراف، الصَّاحبُ الدَّينُ يُعينك على أمر دينك فيُقلّم معك أظافير الفتن ويَقمع عنك نوائبَ الضَّلالة ويقلع عن نفسه وعنك نوابت الزَّيْغ وما أكثرها في هذا الزَّمان.

ولهذا تجدُ أوصافَه متعاضدةً ومواقفه متناصرةً وأحوالَه متوافرة موصولة غير مغلولة ومستقرَّة لا مضطربة وكلها تصبُّ في معين الخير والبر والإحسان والمروءة، كما قال القائل:

جاءتْ تهادَى مُشرِقًا ذُراها
تحنُّ أولاها على أُخراها

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

باب السنة

من أصول الديانة حفظ الأمانة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه ومن والاه، وبعد:

فقد انقضى شهر القرآن؛ أفضل شهر على أهل الإيمان، وأشره على أهل النفاق والخسران، ثم انقضى شوال وما فيه من نفحة الأيام الست التي جعل الله صيامها تمامًا لصيام الدهر لمن صام رمضان، فالحمد لله على إحسانه والشكر له على توفيقه وامتنانه، و ها هو شهر ذي القعدة؛ شهر مبارك يقعد المتحاربون فيه عن حربهم استعدادًا لحجهم ونُسُكهم، فهو شهرٌ حرَّمه الله فزاد تحريم الظلم بتحريمه تحريمًا.

وإن من ظلم الإنسان لنفسه، وما يلقى به حتفه أن يترك محاسبتها، ولنا في محاسبة النفس لتزكيتها ومعرفة الفتن لاجتنابها لنا في ذلك من أسلافنا أسوة.

وكنا قد ابتدأنا في الشهر الكريم شرح حديث حذيفة رضي الله عنه عن الأمانة، ورفعها، فتكلمنا في رمضان عن مطلع الحديث عن الإيمان قبل القرآن، وأن القرآن للمؤمنين نور على نور.

ثم يقدر الله لنا لباقي الحديث التمام:

الحديث:

عَنْ حُذَيْفَةَ قَالَ: حَدَّثَنَا رَسُولُ اللَّه صلى الله عليه وسلم حَدِيثَيْنِ قَدْ رَأَيْتُ أَحَدَهُمَا، وَأَنَا أَنْتَظِرُ الآخَرَ. حَدَّثَنَا «أَنَّ الأَمَانَةَ نَزَلَتْ فِي جَذْرِ قُلُوبِ الرِّجَالِ. ثُمَّ نَزَلَ الْقُرْآنُ. فَعَلِمُوا مِنَ الْقُرْآنِ وَعَلِمُوا مِنَ السُّنَّةِ». ثُمَّ حَدَّثَنَا عَنْ رَفْعِ الأَمَانَةِ قَالَ: «يَنَامُ الرَّجُلُ النَّوْمَةَ فَتُقْبَضُ الأَمَانَةُ مِنْ قَلْبِهِ. فَيَظَلُّ أَثَرُهَا مِثْلَ الْوَكْتِ، ثُمَّ يَنَامُ النَّوْمَةَ فَتُقْبَضُ الأَمَانَةُ مِنْ قَلْبِهِ. فَيَظَلُّ أَثَرُهَا مِثْلَ الْمَجْلِ. كَجَمْرٍ دَحْرَجْتَهُ عَلَى رِجْلِكَ فَنَفِطَ فَتَرَاهُ مُنْتَبِرًا وَلَيْسَ فِيهِ شَيْءٌ (ثُمَّ أَخَذَ حَصًى فَدَحْرَجَهُ عَلَى رِجْلِهِ) فَيُصْبِحُ النَّاسُ يَتَبَايَعُونَ. لاَ يَكَادُ أَحَدٌ يُؤَدِّي الأَمَانَةَ حَتَّى يُقَالَ: إِنَّ فِي بَنِي فُلاَنٍ رَجُلاً أَمِينًا. حَتَّى يُقَالَ لِلرَّجُلِ: مَا أَجْلَدَهُ مَا أَظْرَفَهُ مَا أَعْقَلَهُ وَمَا فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ». وَلَقَدْ أَتَى عَلَيَّ زَمَانٌ وَمَا أُبَالِي أَيُّكُمْ بَايَعْتُ. لَئِنْ كَانَ مُسْلِمًا لَيَرُدَّنَّهُ عَلَيَّ دِينُهُ. وَلَئِنْ كَانَ نَصْرَانِيًا أَوْ يَهُودِيًا لَيَرُدَّنَّهُ عَلَيَّ سَاعِيهِ. وَأَمَّا الْيَوْمَ فَمَا كُنْتُ لأُبَايِعَ مِنْكُمْ إِلاَّ فُلاَنًا وَفُلاَنًا.

إعداد / د. مرزوق محمد مرزوق

التخريج والشرح:

يُنْظَر مجلة التوحيد عدد رمضان؛ منعًا للتكرار وحفاظًا على وقت إخواننا الأخيار.

من فوائد الحديث استكمالاً لما ذكر في رمضان:

فائدة: أن كل مولود يولد على فطرة الاسلام:

كما قال صلى الله عليه وسلم: (الأمانة نزلت في جذر قلوب الرجال)، وأن الذي يغير هو الذي يخالف الفطرة.

عَنْ أبي هريرة، أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ: «مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلَّا يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانه، وَيُنَصِّرانه، وَيُمَجِّسَانه، كَمَا تُنْتَجُ الْبَهِيمَةُ بَهِيمَةً جَمْعَاءَ، هَلْ تُحِسُّونَ فِيهَا مِنْ جَدْعَاءَ؟ ثُمَّ يَقُولُ أَبُو هُرَيْرَةَ: وَاقْرَءُوا إِنْ شِئْتُمْ: «فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّه» (سورة الروم آية ٣٠). (صحيح مسلم/ كتاب القدر رقم: ٤٨٠٩).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «ومثل الفطرة مع الحق مثل ضوء العين مع الشمس، وكل ذي عين لو تُركَ بغير حجاب لرأى الشمس، والاعتقادات الباطلة العارضة من تهوُّد وتنصر وتمجُّس مثل حجاب يحول بين البصر ورؤية الشمس، وكذلك أيضًا كل ذي حسّ سليم يحب الحلو إلا أن يعرض في الطبيعة فساد يحرفه حتى يجعل الحلو في فمه مرًا، ولا يلزم من كونهم مولودين على الفطرة أن يكونوا حين الولادة معتقدين للإسلام بالعقل، فإن الله أخرجنا من بطون أمهاتنا لا نعلم شيئًا، ولكنّ سلامة القلب وقبوله وإرادته للحق الذي هو الإسلام بحيث لو ترك من غير مغيِّر لما كان إلا مسلمًا، وهذه القوة العلمية العملية التي تقتضي بذاتها الإسلام ما لم يمنعها مانع.. هي فطرة الله التي فطر الناس عليها». انتهى. (مجموع الفتاوى ٤/٢٤٧).

فائدة: لا دين إلا ما دل عليه الكتاب والسنة:

فالدين كما أنه فطرة هو مستمد كذلك من الكتاب والسنة، ولا دين إلا بذلك؛ لقوله صلى الله عليه وسلم: «ثُمَّ نَزَلَ الْقُرْآنُ. فَعَلِمُوا مِنَ الْقُرْآنِ وَعَلِمُوا مِنَ السُّنَّةِ».

وعليه فكل ادعاء لدين بعيد عن الكتاب والسنة باطل، وهذا ردٌّ على كثير من الغالين الذين ينحرفون عن دين الاسلام بأهوائهم بعيدًا عن الدليل الشرعي مهما حَسُنَ ظاهر فعلهم، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو ردّ»(متفق عليه)، وفي رواية لمسلم: «من عمل عملًا ليس عليه أمرنا فهو ردّ».

وقد ذكر العلماءُ عند قوله تعالى: «يُخْرِجُهُم مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ» (البقرة: ٢٥٧) أنه سبحانه وتعالى جَمَع الظُلمات التي هي طُرُقُ الباطل، وأفرَدَ النور فجعله واحدًا، وهو طريق الحق، فدلَّ ذلك أن طُرُقَ الباطل كثيرة، وطريقَ الحق واحدٌ وهو طريق الشرع الذي كان عليه سلفنا الصالح؛ فلا نجاة للعبد إلا بتركه لطرق الباطل، واتّباع سبيلِ الحقِّ الأوحد الذي كان عليه رسول الله وأصحابه، فقد صح أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة، وافترقت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة، وستفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة، قيل: من هي يا رسول الله؟ قال: من كان على مثل ما أنا عليه وأصحابي. وفي بعض الروايات: هي الجماعة. رواه أبو داود والترمذي وابن ماجه والحاكم، وصححه على شرط مسلم.

فائدة: والحديث دليل من دلائل النبوة:

حيث حدَّث صلى الله عليه وسلم أصحابه عن رفع الأمانة؛ فأدرك بعض أصحابه رضي الله عنهم شيئًا من ذلك ومنهم حذيفة رضي الله عنه كما في حديث الباب، وأدرك الناس من بعدهم كثيرًا من ذلك.

قال ابن بطال رحمه الله: «هذا الحديث من أعلام النبوة؛ لأنّ فيه الإخبار عن فساد أديان النّاس وقلة أمانتهم في آخر الزمان، ولا سبيل إلى معرفة ذلك قبل كونه إلا من طريق الوحي» (شرح البخاري لابن بطال ٣٨/١٠).

وقد تواتر النقل لشكوى السلف من تدهور حال الزمان؛ فقد ذكر الحافظ ابن حجر في الإصابة (٣٢٧/٣) في ترجمة لبيد

بن ربيعة) أن ابن منده (ت ٣٩٥) وسعدان بن نصر (ت ٢٩٥) أخرجا من طريق هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها قالت: رحم الله لبيدًا إذ يقول:

ذَهَبَ الذينَ يُعَاشُ فِي أكنافِهِم
وَبَقِيتُ فِي خَلفٍ كجلدِ الأجربِ

قالت عائشة: كيف لو أدرك زماننا هذا؟ ولهذا قال عروة: رحم الله عائشة، كيف لو أدركت زماننا هذا؟، ثم قال الحافظ ابن حجر: واتصلت السلسلة (أي قولهم: رحم الله فلانًا، فكيف لو أدرك زماننا؟!) هكذا إلى سعدان، وإلى ابن منده. انتهى، وإذا كان الأمر كذلك فهل لأمثالنا أن يقول فكيف لو أدرك أسلافنا زماننا؟!

فائدة: عدم الاغترار بالظاهر:

فقد ذم الحديث اغترار بعض الناس بالمظاهر الخارجية في حكمهم وثنائهم على الآخرين، مع ضعف حقيقتهم في الإيمان والأمانة والصلاح والإحسان، قال النبي صلى الله عليه وسلم: «حَتَّى يُقَالَ لِلرَّجُلِ: مَا أَجْلَدَهُ! مَا أَظْرَفَهُ! مَا أَعْقَلَهُ! وَمَا فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ».

وفي ذلك توجيه للعناية بالجوهر؛ إذ الاسلام مظهر وجوهر، وكلاهما مهم، لكنَّ الحديث ذمَّ مَن اعتنى بالظاهر فقط، فتظاهر بالعقل والجَلَد والظرف، وتركَ الباطن الذي أساسه استقامة القلب (وليس في قلبه مثقال حبة خردل من إيمان).

فائدة: الافتقار إلى الرب في تعهُّد القلب:

ففيه إرشاد أن يتعهد الإنسان قلبه خوفًا عليه إذ قد (ينام الرجل النومة فتنزع الأمانة من قلبه)، والتعهد هدي الصالحين؛ إذ إن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو سيد الصالحين المصطفى من رب العالمين يخاف على نفسه فيدعو كما ثبت في صحيح مسلم: (اللهم يا مصرِّف القلوب صرِّف قلبي على طاعتك) وكما ثبت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول: (اللهم إني أسألك الثبات في الأمر، والعزيمة على الرشد). (السلسلة الصحيحة)

وكذلك الخليل ابراهيم كما قال الله «وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا» (النساء: ١٢٥) لا يأمن على نفسه فيدعو (رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ الْأَصْنَامَ) (إبراهيم: ٣٥)؛ فمع منزلة سيدنا إبراهيم عليه السلام والذي كان أمة، والذي قاوم الشرك وكسر الأصنام بيده حتى ألقي في النار، مع ذلك يخاف على نفسه من الوقوع في الشرك؛ إذ القلوب بين أصبعين من أصابع الرحمن، لذا قال بعض السلف: «ومن يأمن البلاء بعد إبراهيم؟»، الذي خاف على نفسه الوقوع في الشرك؛ فاللهم سلم.

فائدة: غربة الدين:

ومن ذلك ما كان من ارتفاع الأمانة من القلوب حتى لا يبقى من أهل الأمانة إلا رجال معدودون، ولا شك أن فقدان خُلُق الأمانة دليلٌ على فساد الزمان؛ لأن كثيرًا من الحقوق التي لله تعالى والتي للناس متعلقة بالأمانة.

وقد أرشد رسول الله صلى الله عليه وسلم لذلك كما ورد عن جمع من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم؛ فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «بدأ الإسلام غريبًا، وسيعود- كما بدأ- غريبًا، فطوبى للغرباء».

ولهذا جاء في أحاديث متعددة مدح المتمسك بدينه في آخر الزمان، وأنه كالقابض على الجمر، وأن للعامل منهم أجر خمسين ممن قبلهم؛ لأنهم لا يجدون أعوانًا على الخير.

وفي هذا القدر كفاية. والحمد لله رب العالمين.

مسائل الدين وصلتها بالخلاف

الحلقة الثالثة

إعداد أ . د . أحمد منصور سبالك

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبعدُ:

كما ذكرنا في المقال السابق أنه بقي لنا محوران في حديثنا الذي بدأناه هذا العام على منظومة الخلاف.

المحور التاسع وهو: الآثار المترتبة على الخلاف.

والمحور العاشر والأخير: ضوابط التعامل مع المخالف.

وسيدور بحول الله تعالى وقدرته ومنه وكرمه الكلام هذه المرة حول محور: الآثار المترتبة على الخلاف:

ولما نظرت في هذا المحور وجدت أن هذا المحور ينقسم إلى قسمين:

الأول: الآثار الإيجابية للخلاف.

الثاني: الآثار السلبية للخلاف.

فأما القسم الأول سنبدأ به كلامنا ونقول أولاً: معلوم أن الأثر تبع ما ترتب على وجود الشيء، ومنه قوله تعالى في الكهف: «فَارْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا» (الكهف:٦٤).

فالغاية من تحديد الآثار المترتبة على الخلاف هو ما يترتب على هذا الخلاف، وما يكون، وهذا الذي ينقسم على إيجابي وسلبي، أي: آثار إيجابية، وآثار سلبية.

فإذا تكلمنا أولاً على الآثار الإيجابية يكون من الجدير بالذكر أن كل الآثار الإيجابية يمكن جمعها في أثر واحد، وهو: مُراعاة الخلاف.

وعندما نتحدث عن مراعاة الخلاف، يجب أن نعلم أن في طبقات هذا العنوان أمورًا كثيرة جدًّا؛ منها على سبيل المثال: قبول الخلاف، وقول المخالف، واعتباره في دائرة الشرع الحنيف، والأهم الآن: قبول صاحبه.

ولو تتذكر أيها القارئ الكريم في أول مقالة في هذا الباب أخبرتك بأن علم الخلاف ينشأ المحبة، إن تقبل من تخالفه ويقبلك من أنت مخالف له تكون أخوة في الله متحابين.

وهذا قد يزيل اللبس عند الاستغراب الذي ينشأ من البعض عندما يعلم بالخلاف بين الموجود بين مالكي وشافعي أو حنفي وحنبلي، أو ما شابه ذلك، ويجد كل منهما مع الآخر في أُلفة ومحبة.

وإذا قرأت في سيرة الإمام المظلوم-هكذا أطلق عليه دائمًا- شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله، حيث تجده رحمه الله رفيقًا بمخالفيه محبًّا لهم، وحكى مثل ذلك عنه تلاميذه مثل ابن القيم، وابن عبد الهادي، والبزار، وغيرهم كثير.

لكن كونك تختلف مع أخيك فتبرز الولاء والبراء في مسائل لا يكون هذا مناسبًا لها، هذا ابتداع في دين الله تعالى لم يكن عليه سلف الأمة.

وبهذا تكون جمدت مرنًا وضيقت واسعًا على عباد الله تعالى، فللأسف نرى صغارًا ممن ينتسبون للعلم يفعلون ذلك كثيرًا، مسائل سائغ فيها الخلاف ومقبول فيها، ووسع أئمة كبار من قبل في سلفنا الصالح، ويشأ الآن عليها الصغار الولاء والبراء.

ولهذا وجدنا في مقدمات كتب الخلاف قوله تكررت كثيرًا: مراعاة الخلاف مسلك العلماء.

فاحرص- إن لم تكن منهم- أن تكون ممن يلحقون بدربهم، ونستطيع أن نجزم بأن كل مَن لم يسلك مسلك أهل العلم سلفًا في هذا العلم يُساعد على انتشار الآثار السلبية التي تنبع من الخلاف، والتي منها:

ضعف الأمة في جميع جوانبها العقدية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية والأخلاقية والسلوكية، ونشاهد هذا كثيرًا الآن في غالب بلاد المسلمين.

مما يُساعد إلى تفرق هذه الأمة الواحدة، والتي الأصل فيها أن تكون في دولة واحدة- إلى دويلات كل منها زعيم، وإلى طوائف وأحزاب لكل منها رئيس، تختص كل مجموعة بأرض وسياسة وتنتهج غير إسلامي تقريبًا، إلا من رحم ربي.

ثم يجر ذلك إلى استهداف المسلمين في عقائدهم وثوابتهم الدينية، فيتكلم اللطع ابن اللطع في أمور تهتز لها الجبال ولا يتحرك لساكن رمش عين.

وينتج من ذلك الموالاة لأعداء الله تعالى وأعداء دينه داخل المجتمع المسلم، مما يُسهل على الأعداء التخطيط لضرب الأمة وضرب دينها.

ومن الآثار السلبية أيضًا عند عدم مراعاة الخلاف: إشاعة المفاهيم الخاطئة عن دين الله تعالى وعن أهله، كما ذكرت آنفًا قولي عن شيخ الإسلام بأنه: الإمام المظلوم.

نقلنا عنه أقوالاً لم نفهمها تارة، أو اجتزأناها تارة أخرى؛ ففيها من يسمعها منا على غير مراد شيخ الإسلام، وفي النهاية يقول شيخ الإسلام، يقول: «فظلم الإسلام ظلمًا بينًا، فلا يكاد يفهم كلامه إلا قلة، ومن الآثار السلبية عن وجود كل هذا نجد الإتاحة التامة لأصحاب الرذيلة في إشاعة بضاعتهم في المسلمين؛ لا يوجد مَن يتصدى لهم، أو من يتصدى لهم شغل نفسه بالرد على أخيه وتبديعه وتفسيقه، وترك أهل الانحلال على ما هم عليه، ومَن تمسك زورًا وبهتانًا بدين الله منهم بدأ في إثارة الشعوب على حكامهم لزيادة البلبلة وعدم الاستقرار، وبث روح التمرُّد في كل شرائح المجتمع؛ الابن ضد أبيه، والزوجة ضد زوجها، والأقلية ضد الأكثرية، وإثارة الفتن والطائفية في المجتمع، واختلاف الناس على علمائهم.. إلخ.

فلا بد أيها القارئ أن نلتفت إلى هذا الأمر جيدًا، ونستمسك بديننا ونفهمه فهمًا صحيحًا، كما فهمه صحابة النبي صلى الله عليه وسلم ورضي الله عنهم جميعًا، حتى ننجوا من هلاك محقق ببعدنا عن هذا المنهج القويم. إلى لقاء قادم إن شاء الله.

درر البحار في بيان ضعيف الأحاديث القصار

القسم الثاني

إعداد/ علي حشيش

الحلقة (٧٠)

٦٦٦- «إن آدم أتى البيت ألف آتية، لم يركب قط فيهن من الهند على رجليه».

الحديث لا يصح؛ أخرجه ابن خزيمة في «صحيحه» (ح٢٧٩٢) من حديث القاسم بن عبد الرحمن عن أبي حازم، وهو نبتل مولى ابن عباس، عن ابن عباس مرفوعًا، وقال: «في القلب من القاسم بن عبد الرحمن شيء». اهـ. قال الإمام الذهبي في «الميزان» (٣/٣٧٤/٦٨٢٠): «القاسم بن عبد الرحمن الأنصاري، قال ابن معين: ضعيف الحديث جدًّا». اهـ.

وأورد الحافظ ابن حجر في «اللسان» (٤/٥٤١) (٢١/٦٦٣٨) له هذا الحديث، ونقل كلام الإمام ابن خزيمة وأقره. وقال الحافظ المنذري في «الترغيب والترهيب» (٢/١٦٧): «القاسم هذا واه». اهـ.

٦٦٧- «مَن مات في طريق مكة ذاهبًا أو راجعًا لم يُعرَض ولم يُحاسب».

الحديث لا يصح؛ أخرجه الحارث بن أبي أسامة (١٨٦ - ٢٨٢هـ) في «مسنده» كما في «زوائد مسند الحارث» (١/٤٣٦)- ط الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة؛ حديث (٣٥٣)، والحافظ الأصبهاني في «الترغيب والترهيب» (٢/١٨) (ح١٠٦٣) من حديث جابر، وعلته إسحاق بن بشر الكاهلي عن أبي معشر أورده الإمام الذهبي في «الميزان» (١/١٨٦/٧٤٠)، ونقل عن مطين أنه قال: ما سمعت أبا بكر بن أبي شيبة كذَّب أحدًا إلا إسحاق بن بشر الكاهلي، وكذلك كذبه موسى بن هارون وأبو زرعة، وقال الفلاس وغيره: متروك، وقال الدارقطني: «هو في عداد من يضع الحديث». اهـ. فالحديث «موضوع».

فائدة: وحتى لا يتقوَّل من لا دراية له بالصناعة الحديثية، ويقول: إنَّ للحديث طريقًا آخر. فهذا الطريق تالف أخرجه الإمام العقيلي في «الضعفاء الكبير» (٣/٤١٠/١٤٤٧) من حديث عائشة، وعلته عائذ بن نسير، قال العقيلي: منكر الحديث، وأخرجه أيضًا الإمام ابن عدي في «الكامل» (٥/٣٥٤) (١٥١٣/٥٤٥) في عدة أحاديث مناكير، وقال: «هذه الأحاديث لا يرويها غير عائذ عن عطاء وعن عائذ يحيى بن يمان، وضعفه ابن معين، وقال: روى أحاديث مناكير كذا في «اللسان» (٣/٢٨٥) (٣٦/٤٣٨٧)، وقال الإمام ابن حبان في «المجروحين» (٢/١٩٤): «كثير الخطأ بطل الاحتجاج مما انفرد».

٦٦٨- «مَنْ طاف بالبيت أسبوعًا حافيًا حاسرًا كان له كعتق رقبة، ومَن طاف أسبوعًا في المطر غُفِرَ له ما سَلَفَ من ذنبه». ومعنى أسبوع: أي سبعة أشواط.

الحديث لا يصح؛ أورده أبو حامد الغزالي في «الإحياء» (١/٢٤١)، وقال الحافظ العراقي في تخريج «الإحياء»: «حديث «من طاف بالبيت أسبوعًا حافيًا...» لم أجده». اهـ.

٦٦٩- «مَن طاف بالكعبة في يَوْمِ مَطرٍ كُتِبَ له بكلِّ قَطْرة تصيبهُ حسنةً ومُحيَ عنه بالأخرى سيئةً».

الحديث لا يصح؛ أخرجه الفاكهي المتوفى (٢٧٢هـ) في «أخبار مكة» (٢٥٠/١) (ح٤٧٩) من حديث عبد الرحمن بن زيد العمي عن أبيه، عن التابعين رفعوه إلى النبي صلى الله عليه وسلم، والحديث مردود بالطعن في الراوي والسقط في الإسناد، أما عن الطعن في الراوي ففيه عبد الرحيم بن زيد أورده الإمام الذهبي في «الميزان» (٥٠٣٠/٦٠٥/٢)، وقال: «عبد الرحيم بن زيد بن الحواري العمي عن أبيه وغيره، قال البخاري: تركوه، وقال يحيى: كذاب». وقال مرة: ليس بشيء. وقال الجوزجاني: غير ثقة. وقال أبو حاتم: تركوا حديثه، وقال أبو زرعة: واهٍ». اهـ. قوله في السند: «عن التابعين رفعوه إلى النبي صلى الله عليه وسلم». قصة إبهام لاسم التابعين ومن أبهم اسمه جُهلَتْ عدالته فردت روايته، قال البيقوني في «منظومته»: «ومبهم ما فيه راو لم يُسَمّ». اهـ. والحديث فيه سقط في الإسناد، حيث إن الحديث مرسل، «فقد سقط من آخر إسناده من بعد التابعين». فكيف والتابعي مبهم، فالحديث من وضع كذاب واهٍ متروك غير ثقة.

٦٧٠- قال الله تعالى: «إذَا أَردتُ أَنْ أُخْرِبَ الدُّنيا بَدَأْتُ بِبَيْتي فَخَرَّبْتُه، ثم أُخرِّبُ الدُّنيا عَلَى أثرِهِ».

الحديث لا يصح؛ أورده الغزالي في «الإحياء» (٢٤١/١) مرفوعًا إلى النبي صلى الله عليه وسلم عن رب العزة بصيغة الجزم، وقال الحافظ العراقي في «تخريج الإحياء»: «ليس له أصل».

٦٧١- «مَنْ طافَ أسبوعًا خاليًا كان كَعِتقِ رقبةٍ».

الحديث لا يصح؛ أورده الإمام الشوكاني في «الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة» من كتاب «الحج» (ح١٠) وقال: «ولا عبرة بكون مثل هذه الأحاديث في «الإحياء» فهو لا يتميز بين الصحيح والموضوع». اهـ.

٦٧٢- «لا تذكروني عند ثلاث: تسمية الطعام، وعندَ الذبحِ، وعند العُطاس».

الحديث لا يصح؛ أخرجه البيهقي في «السنن الكبرى» (٤٨١/٩) (ح١٩١٠٨) من حديث عبد الرحيم بن زيد العمي عن أبيه مرفوعًا، وعلته عبد الرحيم بن زيد العمي، وهو كما بينا آنفا كذاب واهٍ متروك. وقال الإمام الحافظ ابن حبان في «المجروحين» (١٦١/٢): «يروي عن أبيه العجائب لا يشك من الحديث صناعته أنها معمولة أو مقلوبة كلها». اهـ. ومع هذا الطعن ففي الإسناد سقط، حيث رفعه أبوه إلى النبي صلى الله عليه وسلم.

٦٧٣- «إذا خرج الحاج مِن بيتهِ فسَار ثلاثًا خرجَ مِن ذُنُوبه كيوم ولدتهُ أُمه، وكان سائرُ أيامه درجات».

الحديث لا يصح؛ أخرجه أبو منصور الديلمي في «مسند الفردوس» كما في «الغرائب» الملتقطة من مسند الفردوس (ص٣٣٨)، من حديث عبد الرحيم بن زيد العمي عن أبيه، عن تسعة أو ثمانية أخبروه عن أبي ذر مرفوعًا، وعلته عبد الرحيم بن زيد، وهو كما بينا آنفًا: أنه كذاب واهٍ متروك غير ثقة.

٦٧٤- «الدُّنيا مزرعةُ الآخرة».

الحديث لا يصح؛ ذكره الحافظ السخاوي في «المقاصد» (ح٤٩٧) وقال: «لم أقف عليه مع إيراد الغزالي له في الإحياء». قلت: أورده الغزالي في «الإحياء» (١٩/٤) مرفوعًا بصيغة الجزم، وقال الحافظ العراقي في «تخريج الإحياء»: «لم أجده بهذا اللفظ مرفوعًا». اهـ.

فقه المرأة المسلمة

الحلقة ١١

باب الطهارة

إعداد: د/عزة محمد رشاد (أم تميم)

والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم. أما بعد:

فقد انتهينا بفضل الله تعالى من الأحكام المتعلقة بالحيض، ونشرع في هذه الحلقة بإذن الله تعالى في بيان الأحكام المتعلقة بالنفاس، ولما كان أكثر الأحكام المتعلقة بالنفاس هي نفس أحكام الحيض فسأقتصر على بيان الأحكام الخاصة بالنفاس؛ سائلة المولى عز وجل أن ينفع بها، وأن يجعلها خالصة لوجهه الكريم إنه قريب مجيب الدعاء.

أولا: تعريف النفاس:

لغة: النفاس بالكسر: ولادة المرأة، مأخوذ من النفس وهو الدم، ومنه قولهم لا نفس له سائلة أي لا دم له يجري. لسان العرب (٦/٢٣٨)، تاج العروس (١٦/٥٦٧)، المصباح المنير (٢/٦١٧).

وفي الشرع:

عرّفه الحنفية بأنه: الدم الخارج عقيب الولادة. المبسوط للسرخسي (٣/٢١٠).

وعرّفه المالكية بأنه: دم أو صفرة أو كدرة خرج من القبل للولادة، معها أو بعدها لا قبلها على الأرجح. الشرح الكبير (١/١٧٤).

وعرّفه الشافعية بأنه: الدم الخارج بعد فراغ الرحم من الحمل، فخرج بما ذكر دم الطلق، والخارج مع الولد؛ لأن ذلك من آثار الولادة، ولا نفاس يتقدمه على خروج الولد بل ذلك دم فساد. مغني المحتاج (١/٢٧٧).

وعرّفه الحنابلة بأنه: دم يرخيه الرحم مع ولادة وقبلها بيومين أو ثلاثة مع أمارة وبعدها إلى تمام أربعين يوما. كشاف القناع (١/٢١٨).

ثانيا: مدة النفاس:

ورد في مدة النفاس حديث اختُلف في تصحيحه وهو حديث مُسَّه عن أم سلمة قالت: «كَانَتِ النُّفَسَاءُ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم تَقْعُدُ بَعْدَ نِفَاسِهَا أَرْبَعِينَ يَوْمًا، أَوْ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً، وَكُنَّا نَطْلِي عَلَى وُجُوهِنَا الْوَرْسَ يَعْنِي مِنَ الْكَلَفِ» أخرجه أبو داود (٣١١)، وابن ماجه (٦٤٨) والترمذي (١٣٩).

وقد ورد عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: «تنتظر النفساء أربعين يومًا أو نحوها». سنن الدارمي (٩٥٤).

اختلف العلماء في أكثر مدة للنفاس؛ فذهب فريق إلى أن أكثر مدة للنفاس أربعين يومًا مستدلين بحديث مُسَّه، وذهب آخرون إلى عدم تحديد أكثر مدة للنفاس فيرجع الأمر للعادة.

ذكر أقوال أهل العلم في المسألة:

أولاً: من قال أكثر مدة للنفاس أربعين يومًا:

جاء في نيل الأوطار (١/٣٥٢): بعد أن ذكر حديث مُسَّه والخلاف في تصحيحه قال: والأدلة الدالة على أن أكثر النفاس أربعون يومًا متعاضدة بالغة إلى حد الصلاحية والاعتبار،

فالمصير إليها متعين، فالواجب على النفساء وقوف أربعين يومًا إلا أن ترى الطهر قبل ذلك؛ كما دلت على ذلك الأحاديث السابقة.

وجاء في عون المعبود (١/٣٤٦): قال الترمذي في جامعه: وقد أجمع أهل العلم من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم والتابعين ومن بعدهم على أن النفساء تدع الصلاة أربعين يومًا إلا أن ترى الطهر قبل ذلك فإنها تغتسل وتصلي؛ فإن رأت الدم بعد الأربعين، فإن أكثر أهل العلم قالوا: لا تدع الصلاة بعد الأربعين وهو قول أكثر الفقهاء. وبه قال سفيان الثوري وابن المبارك والشافعي وأحمد وإسحاق.

وجاء في المغنى (١/٢٥٢) بعد أن أورد بعض أقوال أهل العلم، قال: ولنا ما روى أبو سهل كثير بن زياد، عن مُسَّه، وذكر الحديث. ثم قال: فإن زاد دم النفساء على أربعين يومًا فصادف عادة الحيض فهو حيض وإن لم يصادف عادة فهو استحاضة.

قال المباركفوري في تحفة الأحوذي (١/٣٦٥): بعد أن ذكر أقوال العلماء والخلاف في مدة النفاس قال: لم أجد على هذه الأقوال دليلاً من السنة فالقول الراجح المعوَّل عليه هو ما قال به أكثر الفقهاء. والله أعلم.

ثانيًا: من قال ليس للنفاس مدة معينة:

قال ابن حزم في المحلى (١/٤١٤): بعد أن ضعَّف حديث مُسَّه، قال: فلما لم يأت في أكثر مدة للنفاس نص قرآن ولا سُنة، وكان الله تعالى قد فرض عليها الصلاة والصيام بيقين، وأباح وطأها لزوجها، لم يجز لها أن تمتنع من ذلك إلا حيث تمتنع بدم الحيض؛ لأنه دم حيض.

جاء في الشرح الممتع (١: ٤٤٦): قال: والذى يترجح عندي: أن الدم إذا كان مستمرًا على وتيرة واحدة، فإنها تبقى إلى تمام ستين، ولا تتجاوزه.

وفى المدونة الكبرى (١/١٥٣): قال ابن القاسم: كان مالك يقول في النفساء: أقصى ما يمسكها الدم ستون يومًا، ثم رجع عن ذلك آخر ما لقيناه، فقال: أرى أن يسأل عن ذلك النساء، وأهل المعرفة فتجلس أبعد ذلك.

وقال مالك في النفساء: متى ما رأت الطهر بعد الولادة وإن قرب فإنها تغتسل وتصلي؛ فإن رأت بعد ذلك بيوم أو يومين أو ثلاثة أو نحو ذلك دمًا مما هو قريب من دم النفاس كان مضافًا إلى دم النفاس.

تعقيب وترجيح:

اتفق أهل العلم على أن المرأة النفساء إذا رأت علامة الطهر قبل أربعين يومًا، فإنها تغتسل وتصلي.

واختلفوا في أكثر مدة للنفاس؛ فالراجح عندي قول من ذهب من أهل العلم إلى أنه ليس للنفاس مدة محددة، وذلك لأنه لم يرد دليل صحيح صريح في تحديد أكثر مدة للنفاس، وأثر ابن عباس إنما يدل على الغالب على أحوال الناس، وليس يدل قطعيًا على أن مدة النفاس أربعين يومًا، ويؤكد ذلك أن العلماء اتفقوا على أنها إذا رأت علامة الطهر قبل ذلك، فعليها أن تغتسل وتصلي، فهذا دليل على أن النفاس قد يكون أقل من أربعين يومًا، وأيضًا قد يكون أكثر من ذلك، وهذا ما ذهب إليه الإمامان: مالك وابن حزم، وهو قول في مذهب أحمد وغيرهم، والله تعالى أعلم وأحكم.

مسألة: هل كل وضع يثبت به النفاس؟

لا يخلو هذا من أحوال:

الأول: أن تضع المرأة نطفة (أربعون يومًا)؛ فهذا ليس بحيض ولا نفاس بالاتفاق.

الثاني: أن تضع ما تم له أربعة أشهر، ويخرج معه دم، فهذا نفاس قولا واحدًا، لأنه نفخت فيه الروح وتيقنا أنه بشر.

لحديث ابن مسعود، وفيه أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يومًا نطفة، ثم يكون علقة مثل ذلك، ثم يكون مضغة مثل ذلك، ثم يرسل إليه الملك فينفخ فيه الروح...». أخرجه البخاري (٣٢٠٨)، ومسلم (٢٦٤٣).

الثالث: أن تضع علقة، وقد اختلف الفقهاء في ذلك.

فالمشهور من مذهب الإمام أحمد أنه ليس بحيض ولا نفاس، ولو رأت الدم، وهذا يسمى

عند العلماء السقط، وعند العامة العوار.
وقال بعض أهل العلم: إنه نفاس؛ وعللوا أن الماء الذي هو النطفة انقلب من حاله إلى أصل الإنسان، وهو الدم فتيقنا أن هذا النازل إنسان.

الرابع: أن تضع مضغة غير مخلقة، فالمشهور من مذهب الإمام أحمد أنه ليس بنفاس، ولو رأت الدم؛ لأنه إذا سقط، ولم يخلق يحتمل أن يكون دمًا متجمدًا أو قطعة لحم ليس أصلها الإنسان، ومع الاحتمال لا يكون نفاسًا؛ لأن النفاس له أحكام، منها إسقاط الصلاة والصوم ومنع زوجها منها، فلا نرفع هذه الأشياء إلا بشيء متيقن، ولا نتيقن حتى نتبين فيه خلق الإنسان.

وقال بعض أهل العلم: إنه نفاس.
وعللوا أن الدم يجوز أن يفسد، ولا ينشأ منه إنسان، فإذا صار إلى مضغة لحم فقد تيقنا أنه إنسان فدمها دم نفاس.

الخامس: أن تضع مضغة مخلقة، فأكثر أهل العلم وهو المشهور من مذهب الإمام أحمد أنها إذا وضعت مضغة مخلقة بأن بانَ رأسه ويداه ورجلاه أنه نفاس.

وأقل مدة يتبين فيها خلق الإنسان واحد وثمانون يومًا لحديث ابن مسعود رضي الله عنه وفيه «أَرْبَعِينَ يَومًا نُطْفَةً ثُمَّ عَلَقَةً مِثْلَ ذَلِكَ» تقدم تخريجه.

وإذا سقط لأقل من ثمانين يومًا، فلا نفاس والدم حكمه حكم سلس البول.

وإذا ولدت لواحد وثمانين يومًا، فيجب التثبت: هل هو مخلق أو غير مخلق؟ لأن الله قسم المضغة إلى مخلقة وغير مخلقة بقوله: «ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ» (الحج: ٥)؛ فجائز ألا تخلق، والغالب: أنه إذا تم للحمل تسعون يومًا تبين فيه خلق الإنسان، وعلى هذا إذا وضعت لتسعين يومًا فهو نفاس على الغالب، وما بعد التسعين يتأكد أنه ولد، وأنه نفاس، وما قبل التسعين يحتاج إلى تثبت؛ لأنها لا تكون مضغة إلا بعد الثمانين، والمضغة قسمها الله إلى مخلقة وغير مخلقة.

أقوال أهل العلم في المسألة:

قال السرخسي في المبسوط (٣/٢١٣): فأما إذا أسقطت سقطًا، فإن كان قد استبان شيء من خلقه فهي نفساء فيما ترى من الدم بعد ذلك، وإن لم يستبن شيء من خلقه فلا نفاس لها، ولكن إن أمكن جعل المرئي من الدم حيضًا يجعل حيضًا، وإن لم يمكن بأن لم يتقدمه طهر تام فهو استحاضة.

وقال أيضًا في (٦/٢٦): وكل سقط لم يستبن شيء من خلقه لا تنقضي به العدة لأنه ليس له حكم الولد بل هو كالدم المتجمد.

قال المواق المالكي في التاج والإكليل (٥/٤٨٦): لا عدة لكل حامل غير الوضع، والسقط التام والمضغة من الولد في ذلك سواء.

قال الماوردي في الحاوي الكبير (١/٤٣٧): لا يخلو حال المرأة في ولادتها من أحد أمرين: إما أن تضع ما فيه خلق مصور أم لا، فإن لم يكن فيما وضعته خلق مصور لا جلي ولا خفي، كالعلقة والمضغة التي لا تصير بها أم ولد، ولا تجب فيها عدة لم يكن الدم الخارج معه نفاسًا، وكان دم استحاضة أو حيض على حسب حاله؛ لأنه لما لم يحكم لما وضعته حكم الولد فيما سوى النفاس، فكذلك في النفاس.

وقال أيضًا في (١١/١٩٧): وإن كانت مضغة فلها ثلاثة أحوال:
أحدها: أن يظهر فيه بعض الأعضاء من عين، أو أصبع، أو تبين فيه أوائل التخطيط وأوائل الصورة فتتعلق فيه الأحكام.

قال ابن قدامة في المغني (١/٢٥٣): إذا رأت المرأة الدم بعد وضع شيء يتبين فيه خلق الإنسان، فهو نفاس. نص عليه، وإن رأته بعد إلقاء نطفة أو علقة، فليس بنفاس.

قال المرداوي في الإنصاف (١/٣٨٧): يثبت حكم النفاس بوضع شيء فيه خلق الإنسان، على الصحيح من المذهب، ونص عليه.... وأقل ما يتبين به الولد: واحد وثمانون يومًا. فلو وضعت علقة أو مضغة لا تخطيط فيها، لم يثبت لها بذلك حكم النفاس، نص عليه.

وللحديث بقية إن شاء الله، والحمد لله رب العالمين.



خطورة التعصب وأضراره

الحمد لله، الحمد لله حمد الشاكر، سبحانه وبحمده، لا يَحْصُر نعمَه حاصرٌ، خيرُه فائضٌ، وإنعامُه وافرٌ، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، شهادة أدخرُها ذُخرًا لليوم الآخر، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدا عبد الله ورسوله، خير حامد وأفضل ذاكر، صلى الله عليه وعلى آله الطيبين الطاهرين، وأصحابه الغُرّ الميامين، كلُّهم لدين الله ناصرٌ، والتابعين ومن تبعهم بإحسان وسلم التسليمَ المزيدَ والمتكاثر.

إعداد الشيخ د: صالح بن عبد الله بن حميد
إمام المسجد الحرام

أما بعد: فأوصيكم أيها الناس ونفسي بتقوى الله، فاتقوا الله-رحمكم الله-، ولا تكونوا من المتكلفين، فمن التكلف-حفظكم الله- التكلم بغير علم، ومنازعة المرء مَنْ فوقَه، والدخول فيما لا يعنيه، وَمَنْ دخَل فيما لا يعنيه لَقِيَ ما لا يرضيه.

ومن علامة إعراض الله عن العبد: أن يشغله فيما لا يعنيه، واختلاف المسلم مع صاحبه لا يُبيح عِرْضَه، ولا يحل غيبته، ولا يُجيز قطيعتَه، وقد قال العقلاء: «إن الآراء للعَرْض لا للفرض، ووجهة نظر للإعلام لا للإلزام».

وفرَّق الحكماء بين أدب الخلاف وخلاف الأدب، فالسعيد يا عبد الله من كان غنيا بقناعته، كبيرًا بتواضعه، عظيمًا بحسن أخلاقه، ﴿قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ﴾ (ص: ٨٦).

معاشر المسلمين: داء عضال، وخطر داهم يقضي على معاني الإنسانية، داء يصيب الفرد والأمة والمجتمع حينما يستفحل ويتفشّى فإنه يفتك في الناس فتكًا، داء إذا ذَرَّ قرنُه فإنه لا يفرِّق بين متعلم وغير متعلم، ومتحضر وغير متحضر، ومتدين وغير متدين، هو أحد مصادر الغرور، ومنابع الظلم، وأسباب الكراهية، وطرق الفساد والإفساد؛ ذلك

يا عباد الله هو التعصب والعصبية، وكل ذلك دعوى الجاهلية وحمية الجاهلية.

التعصب غلو وتطرف وكراهية وفُرْقَة وضلال وشحناء، انقياد عاطفي مقيت لتصورات ومفاهيم ومسالك تتعارض مع الحق والعدل والموضوعية، التعصب حماس أعمى ومشاعر جارفة وأحكام مسبَقَة واستهانة بالآخرين، التعصب خضوع مطلق وسير من غير بصيرة مع الجماعة أو الفئة أو الحزب، أو القبيلة أو الطائفة أو العِرق، التعصب غلو في التعلق بالأشخاص، والتمسك بالأفكار والإصرار على المبادئ، لا يدع مكانًا للتسامح، ولا مجالاً للتفاهم، ولا فرصةً للقبول، التعصب ينطلق من تصورات مسبَقَة في تصنيف الناس والمجتمعات إلى: فئات دينية، وعرقية، ومذهبية، وقبلية، وسياسية، وفكرية، ومناطقية، ورياضية، وغيرها.

معاشر المسلمين: حقيقة التعصب هو: عدم قبول الحق ممن جاء به، مع ظهور دليله بسبب ما في النفس من أغراض وأهواء وانحياز، التعصب دفاع بالباطل حينما يرى المتعصبُ أنه هو الذي على الحق دائمًا بلا حجة وبلا برهان، وغيره هو المخطئ دائمًا، وهو الذي على الباطل دائمًا، ولو كان معه الحجة والبرهان، والعناد والانغلاق والتحجر وعدم التوافق ورفض التعايش كلها أنواع من التعصب، وكلها تمد صاحبها بأسباب الكراهية والشحناء وتفوت فرص الاجتماع والتآلف وحل المشكلات والبناء والتعاون، والتعصب لا يجتمع مع التسامح والانفتاح وقبول الآخر.

معاشر الأحبة: التعصب والعصبية داء فتاك يقود إلى اللجاجة والتقليد الأعمى ويولد حجابًا غليظا يصد عن قبول الحق وقبول الجديد المفيد ويجعل القبيح حسنًا ويقلب الحسن قبيحًا، وقد قال بعض الحكماء: «التعصب عدو مستتر لم يدرك كثيرٌ من الناس خطورتَه الماحقةَ وآثاره المدمرة».

العصبية نعرة مهلكة تنمو في النفس البشرية في البيئة التي تحتضنها، يتربى عليها الصغير، ويهرم فيها الكبير، رجالاً ونساء، تمزق العلاقات الاجتماعية وتسلب روح الوحدة والألفة وتنشر بذور النفاق والفرقة وتبدد الطاقات وتضعف القوى وتهدم البناء، وهل رأيت أعظم من متعصب يرى شرار قومه خيرًا من خيار الآخرين؟

التعصب يورث التمييز والانحياز والتصنيف ويبني حجابًا كثيفًا على العقل والبصر، ويمنع من إدراك الحق وابتغائه والتمييز بين المصلحة والمفسدة.

معاشر المسلمين: وللتعصب مظاهر؛ منها: احتقار الآخرين، وتنقُّصهم، وعدم الاعتراف بأحقيتهم وحقوقهم، وَمِنْ أظهرِ مظاهرِ التعصبِ تقديمُ الولاءات على الكفاءات، وقد يظهر التعصب في سوءِ القول والتعبير، وقد يترقَّى إلى تجنُّب التعامل مع من يتعصب ضده ثم يترقى هذا المتعصب إلى أن يمنع جماعته وفئته من التعامل مع هذا المخالف، وقد يترقى إلى الاعتداء عليه، وقد يصل إلى قتله والتخلّص منه عياذًا بالله.

عباد الله: وكم أثارت النعرات العصبية من حزازات سياسية بشعارات عقائدية وتترست بنداءات دينية فأنبتت فرقة وتحزبًا وتشرذمًا، وكم أدى التعصب في درجات شديدة إلى التمييز والتصنيف والعدوان والقتل، وقد يصل إلى الإبادة الجماعية عياذًا بالله، كما يؤدي إلى التشريد والتهجير والنفي، التعصب

يقود التشويه وإساءة التفسير وتجاهل الحقائق والوقائع.

أيها الإخوة: إن أضرار التعصب وخسائره ومساوئه قد سوّدت صحائف التاريخ، وكم وَاجَهَ الأنبياء-عليهم السلام- والمصلحون من عوائق في طريق هداية الناس، وإصلاح البشرية، وقائدُ ذلك ورائدُه التعصبُ، وقد قال إمامهم ورائدهم إلى النار: (مَآ أُرِيكُمۡ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهۡدِيكُمۡ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ) (غافر: ٢٩)، بسبب التعصب سُفكت الدماءُ، وَضاعت الحقوق، وفشا الظلم، في التعصب هدرٌ لطاقات الأمة عجيبٌ، بل هو من أعظم معوقات التنمية؛ فإذا دخلت العصبية خطط التنمية فَقُلْ: على أهلها السلام، وسواء في ذلك الاقتصادية، أو السياسية، أو التعليمية، أو الإدارية، أو الثقافية، أو الدينية، أو غيرها.

معاشر الأحبة: وقد يسلك بعضُ الناس مسلكَ التعصب لإشباع غروره ولستر نقص في نفسه، أو خبراته، أو قدراته، أو تسويغ فشله، وقد يوظِّفه ليجعل له مكانة أو مركزًا في الدين أو السياسة أو الثقافة سواء أكان ذلك في: كتابات، أو مؤلفات، أو تكوين أحزاب، وجماعات، وطوائف، ومؤسسات تقوم على الأساس العرقي، أو المذهبي، أو المناطقي، أو القبلي، أو الانتماء الفكري.

أيها المسلمون: إن تشخيص الداء والكشف عن المرض هو السبيل الأقوم والطريق الأنجع للعلاج ومحاصرة آثار المرض السلبية في المجتمع وفي الحياة؛ ومن أجل هذا-عباد الله- فلا بد من النظر في أسباب ظهور التعصب ومثيرات العصبية، يأتي في مقدمة هذه الأسباب-حفظكم الله- التربية والنشأة الاجتماعية، فمن نشأ في بيئة تغذي العصبية فإنها تنتج متعصبين؛ مما ينتج عنه الظلمُ والتطاولُ والفجورُ في الخصومة والإقصاء؛ فالإنسان لا يولد متعصبًا، الإنسان لا يولد متعصبًا، ولكنه يأخذ ذلك بالتقليد والتلقي والتربية.

ومن أسباب ظهور التعصب: غياب القيم والأخلاق من العدل، والإنصاف، والتجرد، والمساواة؛ مما يولد العدوانية والكراهية والانكفاء إلى الفئات والانحياز إلى الجماعات، ومن ذلك الغلو في الأشخاص من العلماء والمشايخ والكبراء ورؤساء المجتمع، ومن أعظم الأسباب وأكبرها: إثارة الخلافات المذهبية، والنعرات القبلية، والتمايزات المناطقية والإقليمية؛ ومن ثم تثار معها مشاعر الأحقاد والكراهية وبخاصة حينما يجترُّون أحداثًا تاريخية سالفة عفا عليها الزمن لم تكن في وقتها مما يُحمد أو يشرِّف، فكيف وقد دفنها الزمنُ ويريد هؤلاء غير الحكماء أو المغرضون المفسدون يريدون إحياءها وإثارتها، ويريدون إسقاط الحاضر على ذلك الماضي غير المجيد ولا الشريف، وهذا المسلك المنحرف يستنزف القوى ويهدر الطاقات ويفرق الأمة ويشتت الأهداف ولا ينتج إلا عصبية مقيتة وتوجهات متطرفة ومسالك موغلة في الغلو ويحرمون المجتمع من أن يجتمع على مودة ورحمة وأخوة؛ ومن هنا تذهب ريح الأمة وتستباح بيضتها، وتفتح الأبواب مشرعة للأعداء يدخلون عليها من كل باب، طعنًا في الدين وَغَمْطًا للمكان ونهبًا للخيرات وتقطيعًا للأوصال.

ومما يلفت النظر مع الأسف أن بعض القنوات الفضائية وأدوات التواصل الاجتماعي تتبنَّى مثل هذا بقصد أو بغير قصد في أطروحات وتغريدات ومن

خلالها تثور الخلافات المذهبية والعصبية القبلية والتمايزات المناطقية والفتن الحزبية وهؤلاء جميعًا مع الأسف لا ينقصهم إرث تاريخي يؤجج مثل هذا، بل إن الإعلام المشبوه هذه هي بضاعته، وهؤلاء هم جنوده.

معاشر الإخوة: أعظم وسائل العلاج تربية الأجيال في مناهج التربية على التسامح وحفظ حقوق جميع الناس واحترامهم، ومن أهم وسائل العلاج: سَنّ الأنظمة التي تَحول دون التعصب، ووضع سياسات واضحة لمحاربة مختلف أشكال التمييز والتصنيف وتحقيق العدل وحفظ الحقوق مع التنبيه لعظم دور الأسرة والمدرسة والمسجد والإعلام بكل أدواته، ووضع الخطط في ذلك.

ومن أكبر وسائل العلاج: تحري الحق والتسليم له والسعي إليه وقبوله ممن جاء به.

وبعدُ-حفظكم الله-: فمتى كان اختلاف البشر في ألوانهم يعطيهم فضلاً على بعض؟ ومتى كان الميلاد فوق أرض يجعل أرضًا أرقى من أرض؟ وهل يكون جَنين في بطن معيَّن يخلق نسبًا أشرف من نسب؟ وقد قال نبينا محمد-صلى الله عليه وآله وسلم-: "مَنْ أَبْطَأَ بِه عَمَلُهُ لَمْ يُسْرِعْ بِه نَسَبُهُ"، ويقول عليه الصلاة والسلام: "لَا يَأْتِينِي النَّاسُ بِأَعْمَالِهِمْ وَتَأْتُونَنِي بِأَنْسَابِكُمْ" (متفق عليه)، ويقول لابنته فاطمة وهي بُضْعَة منه وسيدة نساء العالمين-رضي الله عنها- وأرضاها: "يَا فَاطِمَةُ بِنْتَ مُحَمَّد، لَا أُغْنِي عَنْكِ مِنَ اللهِ شَيْئًا" (متفق عليه).

وقد قال الله لنوح-عليه السلام- في ابنه: ﴿إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ﴾ (هود: ٤٦)، فالعصبيات-عباد الله- ما هي إلا غلبة أوهام يستكثر بها الصغار أمجادًا موهومة، إنها أمجاد لا تكلف ثمنًا، ولا تستغرق جهدًا ولا تُنتج ثمرًا، فالإنسان مسئول بنفسه عن نفسه، يقدمه ما اكتسب من خير، ويؤخره ما اكتسب من شر، ويرفعه لباس التقوى؛ ذلك خير.

وفي الحديث عنه-صلى الله عليه وسلم-: "لَيْسَ مِنَّا مَنْ دَعَا إِلَى عَصَبِيَّة، وَلَيْسَ مِنَّا مَنْ قَاتَلَ عَلَى عَصَبِيَّة، وَلَيْسَ مِنَّا مَنْ مَاتَ عَلَى عَصَبِيَّة". (رواه أبو داود)، وفي الحديث الآخر: "مَنْ قُتِلَ تَحْتَ رَايَة عِمِّيَّة يَغْضَبُ لِعَصَبِيَّته، وَيَنْصُرُ عَصَبِيَّةً، وَيَدْعُو إِلَى عَصَبِيَّة فَقُتِلَ فَقِتْلَةٌ جَاهِلِيَّةٌ" (رواه مسلم).

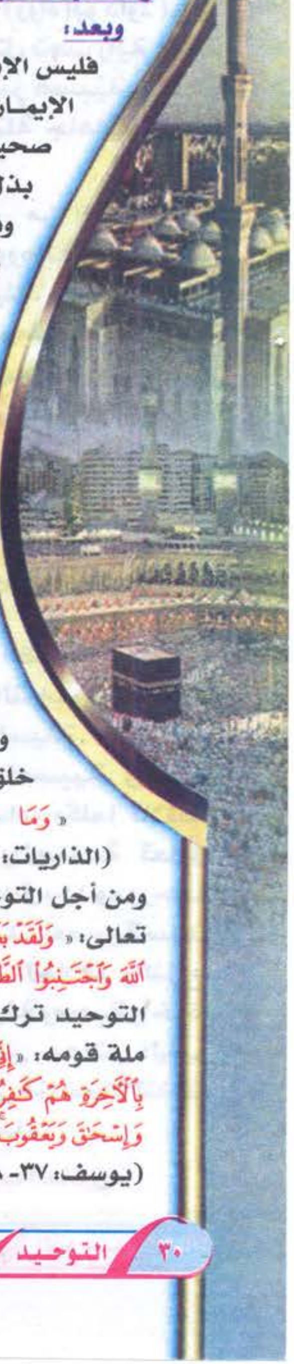
أيها المسلمون: ليس من العصبية أن يحب الرجل قومه ووطنه؛ فالتعصب غير الانتساب إلى قبيلة، وغير الانتماء لمذهب، وغير حب الوطن، فهذه سُنَّة الله في خلقه؛ إذ جعلهم شعوبًا وقبائل ليتعارفوا وحبَّب إليهم أوطانهم وديارهم ﴿وَمَا لَنَآ أَلَّا نُقَٰتِلَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَٰرِنَا وَأَبْنَآئِنَا﴾ (البقرة: ٢٤٦).

ولكن العصبية التعصب للباطل، وغمط الحق والانحراف عن العدل والإقرار على الظلم والإعانة عليه والمفاخرة به من أجل القبيلة أو المذهب أو الفكر أو المبدأ أو التراب، فما نُقلت الخرافات والعادات السيئة والتقاليد المذمومة إلا بسبب العصبية والتعلق المذموم بالآباء والأجداد، وكلما تلاشت العصبية من الفرد والجماعة تعامل الناس بحكمة وعقل وعدل وهدوء ورحمة وديانة صحيحة، وفي نبذ العصبية سوف يزول كثير من أسباب الخلاف والنزاع، ويعيش المجتمع بطمأنينة ومحبة وأخوة، والمجتمعات تنهض على دعائم الخير والصلاح والتقوى لا على مزاعم الالتفاف الأجوف والعصبية العمياء.

والحمد لله رب العالمين.

مظاهر التوحيد.. وحج البيت العتيق

إعداد: عبده الأقرع



الحمد لله المتفرد بالكمال والبقاء، والعزُ والكبرياء، له الصفات العلى وجميل الأسماء، المنزه عن الأشباه والنظراء، وأصلي وأسلم على نبينا محمد الصادق المأمون، وعلى آله وأصحابه الذين هم بهديه مستمسكون.. وبعد:

فليس الإيمان مجرد دعوى وألقاب، إنما الإيمان الحق اعتقادٌ سليم، وعملٌ صحيح، ولاءٌ وبراء، مظهر ومخبر، بذل الندى وكفّ الأذى.

وتحقيقُ التوحيد يحتاج إلى يقظة قلبية دائبة تنفي عن النفس كلَّ خاطرة تقدح في العبودية لله، ومن وقع في مهاوي الشرك الأكبر؛ فطلب من الموتى زوالَ فقر أو مرض، أو طلب منهم جلب نفع، أو دفع ضر، فقد أساء إلى جناب الربوبية، وتنقَّص من الألوهية، وأساء الظن برب البرية.

فالتوحيد الخالص: هو لبابُ الرسالات السماوية كلها، وأساس الملة، فمن أجل التوحيد خلق الله الخلق، قال الله تعالى: «وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ» (الذاريات: ٥٦).

ومن أجل التوحيد بعث الله الرسل، قال الله تعالى: «وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ» (النحل: ٣٦)، ومن أجل التوحيد ترك نبي الله يوسف عليه السلام ملة قومه: «إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱتَّبَعْتُ مِلَّةَ ءَابَآءِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشْرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَىْءٍ» (يوسف: ٣٧-٣٨).

ومن أجل التوحيد بُني بيت الله العتيق؛ قال الله تعالى: «وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِى شَيْـًٔا» (الحج: ٢٦)، وها أنت- أخي الحاج الكريم- تخطو خطواتك إلى بلد الله الحرام، راجيًا من الله محو السيئات ورفع الدرجات، فجدِّ في إخلاص العبادة لله، واعلم أن العبادة لا تكون عبادة إلا مع التوحيد، كما أن الصلاة لا تكون صلاة إلا مع الطهارة، فكما أن المتطهر إذا أحدث بطلت طهارته، فكذلك العابد إذا أشرك بطلت عبادته.

فالشرك لا يصح معه عمل، ولا تقبل معه عبادة، ولهذا كثيرًا ما يأتي الأمر بالعبادة مقرونًا بالنهي عن الشرك، كما في قوله تعالى: «وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا» (النساء: ٣٦)، وكل نبي يقول لقومه: «ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ» (الأعراف: ٥٩).

مظاهر التوحيد في الحج

نحن إذا تدبرنا تأسيس هذا البيت وجدناه قد أسس على التوحيد، كما قال الله تعالى: «وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِۦمَ وَإِسْمَٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ» (البقرة: ١٢٥).

فأمرهما الله بتطهير البيت من سائر النجاسات، وأعظمها الشرك، كما قال الله تعالى: «إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَٰذَا» (التوبة: ٢٨)، وقال تعالى: «وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِى شَيْـًٔا وَطَهِّرْ بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ» (الحج: ٢٦).

إذن فهذا البيت أُسِّس على التوحيد، ويجب أن يبقى على التوحيد إلى أن تقوم الساعة، ولا يجوز أن يُسمح لمشرك بالوصول إليه، ولا بمزاولة شركه حوله، ولهذا لما فتح النبي صلى الله عليه وسلم مكة المشرفة دخل المسجد الحرام وفوق الكعبة وحولها ثلاثمائة وستون

صنمًا، فجعل يطعنها بالقضيب، ويقول: «جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا» (الإسراء: ٨١).

فجعلت الأصنام تتهاوى على وجوهها، ثم أمر بها صلى الله عليه وسلم فأخرجت من المسجد وأحرقت، ثم دخل صلى الله عليه وسلم الكعبة، وأزال ما رُسم على جدرانها من الصور، كل ذلك عملاً بقول الله تعالى: «وَطَهِّرْ بَيْتِيَ» (الحج: ٢٦)؛ لأن هذا البيت قبلة المسلمين، وإليه حجهم وعمرتهم، وهو ملتقى قلوبهم وأبدانهم.

وقد أمر الله بأداء الحج والعمرة خالصين له، فقال سبحانه وتعالى: «وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ» (البقرة: ١٩٦)؛ مما يدل على أن كل حج وعمرة لا يتوفر فيهما توحيد العبادة، فليسا بمقبولين عند الله سبحانه وتعالى.

ومن مظاهر توحيد العبادة في الحج: رفع الأصوات بعد الإحرام بالتلبية لله ونفي الشريك عنه، وإعلان انفراده جل وعلا بالحمد والنعمة والملك، فيرفع الحاجّ صوته ملبيًا: «لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك». يرددها الحجاج بين كل فترة وأخرى حتى يشرعوا في التحلل من الإحرام.

ومن مظاهر توحيد العبادة في الحج: أن أعظم الذكر الذي يُقال في يوم عرفة: «لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير»، فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: «خيرُ الدعاء دعاء عرفة، وخيرُ ما قلتُ أنا والنَّبيُّون من قبلي: لا إله إلا الله وحدَهُ لا شريكَ لهُ، له الملكُ وله الحمدُ، وهو على كل شيء قديرٌ». (الترمذي ٣٥٨٥ وصححه الألباني في صحيح الجامع ٣٢٧٤).

ومن مظاهر توحيد العبادة في الحج: أن الله أمر بالطواف ببيته، فقال تعالى: «وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ» (الحج: ٢٩).

مما يدل على أن الطواف خاص بهذا البيت، فلا يجوز الطواف ببيت غيره على وجه الأرض، لا بالأضرحة، ولا بالأشجار والأحجار.



ومن مظاهر توحيد العبادة في الطواف بالبيت العتيق: أن الطائف حين يستلم الركن اليماني والحجر الأسود يكبِّر الله معتقدًا أنه يستلمهما لأنهما من شعائر الله، فهو يستلمهما طاعةً لله واقتداءً برسوله صلى الله عليه وسلم، ولهذا قال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه حينما استلم الحجر وقبَّله: والله إني لأعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع، ولولا أني رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبِّلك ما قبَّلتك. (البخاري ١٥٩٧، ومسلم ١٢٧٠).

ومن مظاهر توحيد العبادة في الحج: أن الحاجَّ حينما يفرغ من الطواف ويصلي الركعتين فإنه يقرأ في الأولى بعد الفاتحة سورة «قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ»، وفي الثانية يقرأ سورة الإخلاص؛ لما تشتمل عليه هاتان السورتان من توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية.

ففي السورة الأولى البراءة من دين المشركين، وإفراد الله بالعبادة.

وفي السورة الثانية إفراد الله بصفات الكمال، وتنزيهه عن صفات النقص، وبذلك يعرف العبد ربه، ويخلص له العبادة، ويتبرأ من عبادة ما سواه من خلال هذا الدين العملي العظيم.

ومن مظاهر توحيد العبادة في السعي بين الصفا والمروة: أن العبد يسعى بينهما امتثالاً لأمر الله جل وعلا في قوله: «إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ

عَلِيمٌ» (البقرة: ١٥٨).

ومن ذلك يتعلم المسلم أنه لا يجوز السعي كعبادة في أي مكان من الأرض إلا بين الصفا والمروة؛ لأنهما من شعائر الله، وأن السعي بينهما إنما هو بأمر الله، فكل سعي في غيرهما فليس عبادة لله؛ لأنه سعي بغير أمر الله.

ومن مظاهر توحيد العبادة في الحج: ما شرعه الله في يوم العيد وأيام التشريق من ذكره وحده، قال الله تعالى: « وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ» (البقرة: ٢٠٣).



وذكر الله في هذه الأيام يتجلى في الأعمال العظيمة التي تؤدَّى في أيام منى، من رمي الجمار، وذبح الهدي، وأداء الصلوات الخمس في هذا المشعر المبارك والأيام المباركة، كل هذه الأعمال ذكْر لله عز وجل، فرمي الجمار ذكر لله، ولهذا يقول المسلم عند رمي كل حصاة: «الله أكبر»، وذبح الهدي ذكر لله عز وجل، كما قال تعالى: « لِّيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ» (الحج: ٣٤).

وقال تعالى: « وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُم مِّن شَعَائِرِ اللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ ۖ فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافَّ ۖ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ ۚ كَذَٰلِكَ سَخَّرْنَاهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (٣٦) لَن يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ التَّقْوَىٰ مِنكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ ۗ وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ» (الحج: ٣٦-٣٧).

ومن هنا يتعلم المسلم أن الذبح عبادة لا يجوز صرفها لغير الله، فلا يجوز أن يذبح لقبر ولا لولي ولا لجني أو أي مخلوق؛ لأن الذبح عبادة، وصرف العبادة لغير الله شرك.

ومن مظاهر توحيد العبادة في الحج: أن الله أمر بذكره أثناء أداء مناسكه وبعد الفراغ منه، ونهى عن ذكر غيره من الرؤساء والعظماء الأحياء والأموات، وزجر عن المفاخرة بالأحساب والأنساب، فقال تعالى: « فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا ۗ فَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ (٢٠٠) وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ (٢٠١) أُولَٰئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا ۚ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ (٢٠٢) ۞ وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ» (البقرة: ١٩٨-٢٠٣).

إن الحج ليس مجرد رحلة استطلاعية، أو متعة ترفيهية، أو مجرد مظاهر وشعارات، ولكنه دروس وعِبَر، وتعليم عملي للعقيدة الصحيحة، ونبذ للعقائد الجاهلية.

فاتقوا الله-عباد الله- في أداء حجكم وسائر عباداتكم بأن تكون خالصة لوجه الله، وصوابًا على سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، حتى يكون حجكم مبرورًا، فإن الحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة. (البخاري ١٧٧٣، ومسلم ١٣٥١).

فالمؤمن يسعى في إصلاح نفسه، ثم في إصلاح غيره؛ لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «لا يؤمنُ أحدكم حتى يحبَّ لأخيه ما يحبُّ لنفسه». (البخاري ١٣، ومسلم: ١٧٩).

إن الدين ينبني على أصلين:

الأصل الأول: الإخلاص لله في العبادة. والأصل الثاني: المتابعة للرسول صلى الله عليه وسلم، وهذان الأصلان إنما يُعرفان من تدبر الكتاب والسنة واتباعهما، فإن خير الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم، وفي اتباعهما الخير والرشاد والدلالة إلى صراط الله المستقيم.

نسأل الله تعالى بأسمائه الحسنى وصفاته العُلا أنْ يتقبل من حُجَّاج بيته الحرام مناسكهم، وأنْ يجعل حجَّهُم مبرورًا، وسعيهم مشكورًا، وذنبهم مغفورًا، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.



نظرات في كتاب

حجة الوداع لابن حزم

إعداد د/ محمد عبد العزيز

«الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ (١) يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ الرَّحِيمُ الْغَفُورُ» (سبأ: ١، ٢).

والصلاة والسلام على إمام المتقين، وخاتم النبيين، وعلى آله وصحبه، وبعد:

فمن المناسب للعلماء وطلاب العلم في أشهر الحج خاصةً مراجعة أحكامه، والمرور على مسائله، والنظر في نوازله، وتذكير المسلمين بأحكامه وفضائله.

والحج هو الركن الرابع من أركان الإسلام العَمَلية، وهو فرض على المكلف مرة في العمر؛ إذا استطاع إليه سبيلاً، قال ابن حزم في مراتب الإجماع (ص ٤١): «اتفقوا أن: الحر، المسلم، العاقل، البالغ، الصحيح الجسم واليدين والبصر والرجلين، الذي يجد زادًا، وراحلة، وشيئًا يتخلف لأهله مدة مُضيّه، وليس في طريقه: بحر، ولا خوف، ولا منعه أبواه، أو أحدهما؛ فإن الحج عليه فرض. واتفقوا أن المرأة إذا كانت كذلك، وحج معها ذو محرم أو زوج؛ فإن الحج عليها فرض».

وقد حجَّ النبي صلى الله عليه وسلم حجة واحدة بعد هجرته سميت: حجة الإسلام؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم لم يحج من المدينة غيرها.

وسميت حجة البلاغ؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم بلَّغ أهل الإسلام فيها شرع الله في الحج قولاً، وفعلاً.

وسميت حجة الوداع لأن النبي صلى الله عليه وسلم ودَّع الناس فيها، ولم يحج بعدها، وعلى ما يبدو أن هذه التسمية كانت بتوقيف من النبي صلى الله عليه وسلم لحديث عبد الله بن عمر رضي الله عنه، قال: «كنا نتحدث بحجة الوداع، ولا ندري أنه الوداع من رسول الله صلى الله عليه وسلم» أخرجه البخاري (٤٤٠٣)، ومسلم (١٢٠).

وقد وجَّه النبي صلى الله عليه وسلم أمته إلى أخذ أحكام المنسك منها، فكان يقول لأصحابه رضي الله عنهم: «لتأخذوا عني مناسككم؛ فإني لا أدري، لعلي لا أحج بعد حجتي هذه». أخرجه مسلم (١٢٩٧)، وأبو داود (١٩٧٠)، والنسائي (٣٠٦٢).

ولذا اعتنى أهل العلم عناية فائقة بسياق حجته تلك، ومنهم من أفردها بالتصنيف، فكان من أهم الكتب التي ساقت أحداث حجته تلك كتاب حجة الوداع أبي محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري (المتوفى: ٤٥٦ هـ)، وهو كتاب رائق اهتم به أهل العلم اهتمامًا فائقًا جمع فيه ابن حزم مرويات حجة الوداع من كُتُب السنة، ورتَّبها ترتيبًا متقنًا أبان على كثير من فقهها، وأزال التعارض الموهوم بين بعض نصوصها، وقد بلغت تلك المرويات سبعًا وخمسين وخمسمائة حديث (٥٥٧)، قال ابن حزم في مقدمة الكتاب (ص ١٣٥): «فإن الأحاديث كثرت في وَصْف عمل رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع.

- وأتت من طرق شتى، وبألفاظ مختلفة.

- ووصفت فصول ذلك العمل المقدس في أخبار كثيرة غير متصل ذكر بعض ذلك ببعض. حتى صار هذا سببًا إلى تعذر فهم تأليفها على أكثر الناس، حتى ظنها قومٌ كثيرٌ متعارضةً، وترك أكثر الناس النظر فيها من أجل ما ذكرنا.

- فلما تأملناها وتدبرناها بعون الله عز وجل لنا وتوفيقه إيانا، لا بحولنا ولا بقوتنا، رأيناها كلها متفقة ومؤتلفة منسردة متصلة بينة الوجوه واضحة السبل، لا إشكال في شيء منها.

- حاشا فصلاً واحدًا لم يَلُحْ لنا وجه الحقيقة في أي النقلين هو منها فنبهنا عليه وهو: أين صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الظهر يوم النحر، أبمنى أم بمكة؟».

وقد نقل عنه جمع من أهل العلم منهم: أبو محمد عبد الحق الإشبيلي (المتوفى: ٥٨٢ هـ)، وأبو زكريا يحيى بن شرف الدمشقي النووي (المتوفى: ٦٧٧ هـ)، ومحب الدين أحمد بن عبد الله بن محمد بن أبي بكر الطبري (المتوفى: ٦٩٤هـ) في كتابه: القِرَى لقاصد أم القُرَى، وتقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية (المتوفى: ٧٢٨ هـ)، وأبو الفتح محمد بن محمد بن أحمد اليعمري الأندلسي المعروف بابن سيد الناس (المتوفى: ٧٣٤ هـ).

وممن كان له به عناية خاصة أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١ هـ)؛ فقد اعتمد عليه في سياق حجته في زاد المعاد، وبيَّن أوهامه في كتابه هذا.

وكذا أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤ هـ)، فقد اعتمد عليه في سياق حجته صلى الله عليه وسلم وبيَّن أوهامه في كتابه هذا، قال في البداية والنهاية (٤٠٥/٧): « اعتنى الناس بحجة رسول الله صلى الله عليه وسلم اعتناءً كثيرًا من قدماء الأئمة ومتأخريهم، وقد صنَّف العلامة أبو محمد بن حزم الأندلسي، رحمه الله، مجلدًا في حجة الوداع أجاد في أكثره، ووقع له فيه أوهام، سننبه عليها في مواضعها، وبالله المستعان».

فهو كتاب بلغ في الحسن غاية، جزى الله مؤلفه عن أهل الإسلام خيرًا، غير أن هنا مسألة أرى أنه لابد من التنبيه عليها، وهي أننا نعني بقولنا ذلك سياق ابن حزم لحجة الوداع لا ما استنبطه منها فله في ذلك شذوذات يعلمها أهل العلم فبعضها يرجع لجموده على الظاهر، وبعضها يرجع لكونه لم يحج فلم يتصور بعض ما يذكر، وأنا أذكر من ذلك ثلاثة من الأمثلة يتضح بها المقال.

المثال الأول: قال في كتابه هذا بجواز طواف النفساء بالبيت، قال (ص٤١٦): «ولدت أسماء محمد بن أبي بكر، فأتى أبو بكر النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره، فأمره رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يأمرها أن تغتسل، ثم تهل بالحج، وتصنع ما يصنع الناس، إلا أنها لا تطوف بالبيت.

ففي هذا الحديث لفظ منكر، وهو أنها لا تطوف بالبيت، وإنما هذا اللفظ محفوظ في أمره صلى الله عليه وسلم عائشة رضي الله عنها إذ حاضت، والحائض ليست نفساء، والنفساء ليست حائضًا، وليس اتفاقهما في أن لا يصليا ولا يطوفا بموجب أن يمنعا أيضًا الطواف بالبيت دون نص وارد في النفساء كوروده في الحائض، والقياس باطل».

ثم قال (ص ٤١٩): «عن عبد الرحمن بن القاسم، عن أبيه، عن أسماء بنت عميس، أنها ولدت محمد بن أبي بكر بالبيداء، فذكر أبو بكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: «مرها بأن تغتسل ثم تهل».

قال أبو محمد رحمه الله: فهذه الرواية أصح من الأولى؛ لأن أسماء بنت عميس عمرت بعد ابنها محمد، وكانت تحت علي بن أبي طالب، وعاشت بعده، فلا ينكر سماع القاسم منها، وأما سماعه من عائشة رضي الله عنها فهو الصحيح المشهور المتيقن المأثور، وقد ذكرناه قبل، وليس فيه هذا اللفظ، وهذه الرواية كما ترى ليس فيها

منع الطواف بالبيت، ولا يجوز تعدي ما أمر به النبي صلى الله عليه وسلم ولا الزيادة في أمره، ما لم يأمر به».

وهذا مخالف للإجماع، وقد نقل الإجماع غير واحد من أهل العلم منهم ابن عبد البر في التمهيد (١٩/٣١٥).

وقد قال في المحلى (٥/١٨٩): «والطواف بالبيت على غير طهارة جائز للنفساء، ولا يحرم إلا على الحائض فقط؛ لأن رسول الله- صلى الله عليه وسلم- منع أم المؤمنين- إذ حاضت- من الطواف بالبيت كما ذكرنا قبل.

وولدت أسماء بنت عميس بذي الحليفة فأمرها- عليه السلام- بأن تغتسل وتُهلّ، ولم ينهها عن الطواف؛ فلو كانت الطهارة من شروط الطواف لبيَّنه رسول الله- صلى الله عليه وسلم- كما بيَّن أمر الحائض، «وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ» (النجم: ٣- ٤)، «وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا» (مريم: ٦٤)، ولا فرق بين إجازتهم الوقوف بعرفة، والمزدلفة، والسعي بين الصفا والمروة، ورمي الجمرة على غير طهارة، وبين جواز الطواف على غير طهارة إلا حيث منع منه النص فقط.

روينا عن سعيد بن منصور حدثنا أبو عوانة عن أبي بشر عن عطاء قال: حاضت امرأة وهي تطوف مع عائشة أم المؤمنين فأتمت بها عائشة بقية طوافها- فهذه أم المؤمنين لم تَرَ الطهارة من شروط الطواف- ولا نقول بهذا في الحيض خاصة للنص الوارد في ذلك».

وقد رجع ابن حزم عن هذا، واستدركه على نفسه في كتاب الحيض والاستحاضة من أوَّل المحلى، لكن على ما يبدو أنه لم يراجع ذلك في كتاب الحج، قال (١/٤٠٠): «ودم النفاس يمنع ما يمنع منه دم الحيض. هذا لا خلاف فيه من أحد، حاشا الطواف بالبيت، فإن النفساء تطوف به؛ لأن النهي ورد في الحائض ولم يرد في النفساء «وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا» (مريم: ٦٤).

ثم استدركنا فرأينا أن النفاس حيض صحيح، وحكمه حكم الحيض في كل شيء لقول رسول الله- صلى الله عليه وسلم- لعائشة: أنفست؟ قالت: نعم»؛ فسمى الحيض نفاسًا. وكذلك الغسل منه واجب بإجماع».

المثال الثاني: قال بإبطال الحج بالجدال بالباطل فيه، قال في المحلى (٥/٢٠٩): «والجدل بالباطل، وفي الباطل عمدًا ذاكرًا لإحرامه مبطل للإحرام، وللحج، لقوله تعالى: «فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي ٱلْحَجِّ» (البقرة: ١٩٧)».

وقد قال هو في مراتب الإجماع (ص٤٣): « واتفقوا أنه مَن جادل في الحج أن حجَه لا يبطل ولا إحرامه».

المثال الثالث: قال ببطلان حج مَن حجَّ ولم يُلَبِّ، أو لبَّى لكن لم يرفع صوته، قال في المحلى (٥/٢٠٩): «ومن لم يلب في شيء من حجه أو عمرته بطل حجه وعمرته، فإن لبَّى ولو مرة واحدة أجزأه، والاستكثار أفضل.

فلو لبَّى ولم يرفع صوته فلا حج له ولا عمرة، لأمر جبريل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الله عز وجل بأن يأمر أصحابه أن يرفعوا أصواتهم بالتلبية. فمن لم يُلَبِّ أصلاً أو لبَّى ولم يرفع صوته وهو قادر على ذلك؛ فلم يحج ولا اعتمر كما أمره الله تعالى».

فهذه أمثلة ثلاثة توضح لك المقصود، وهي مذهبه واجتهاده، ورأيه الذي أصاب فيه أجرًا واحدًا إن شاء الله تعالى، وهذه الأمثلة غير الأوهام التي في سياق الحجة . وسيأتي ذكر جمهورها بعد . فهذا يتعلق بالاجتهاد، وهذا يتعلق بالنقل، وإنما أوردت ذلك لئلا يخلط بين تزكية كتاب حجة الوداع كسياق للمنسك، وبين فقه ابن حزم في المنسك؛ فله فيه إصابات، وعليه فيه هنَّات، والكبير من عدت أخطاؤه.

هذا ما يسَّره الله تعالى في هذا المقال، فإلى لقاء قريب نستكمل فيه الحديث عن كتاب ابن حزم حجة الوداع، وعن منهجه فيه، وأفضل طبعاته، إن شاء الله تعالى.

نسأل الله أن ييسر لنا حج بيته الحرام، والحمد لله رب العالمين.

واحة التوحيد

من نور كتاب الله

من ثمار الصبر

قال تعالى: «وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَلَا تَكُن فِي مِرْيَةٍ مِّن لِّقَائِهِ ۖ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ (٢٣) وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا ۖ وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ»

(السجدة: ٢٣، ٢٤)

من فضائل الصحابة بشهادات آل البيت

عن جعفر الصادق قال: من زعم أني إمام معصوم، مفترض الطاعة، فأنا منه بريء، ومن زعم أني أبرأ من أبي بكر وعمر، فأنا منه بريء".

(سير أعلام النبلاء)

من حكمة الشعر

قال أبو العتاهية:

وإذا تناسبت الرِّجال، فما أرى
نسبًا يُقاس بصالح الأعمال
وإذا بحثت عن التَّقي وجدته
رجلاً يُصدِّق قوله بفِعَال

(ديوان أبي العتاهية)

من دعاء النبي صلى الله عليه وسلم

عن عائشة رضي الله عنها، قالت: صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الضحى، ثم قال: "اللهم اغفر لي، وتب عليَّ، إنك أنت التواب الرحيم"؛ حتى قالها مائة مرة.

(الأدب المفرد)

من أقوال السلف في حُجيَّة السنة

قال ابن قتيبة: "لولا هذه الأحاديث المنقولة إلينا لم نَعرف بالكتاب أكثر دينَنا؛ لأنَّه يأتي مُجمَل يُفصِّله الحديث، ومُشكَل يُبيِّن مُراد الله فيه الرسول، وهذا بيِّن كثير لا يحتاج إلى الإطالة" (المسائل والأجوبة ص٣٣٥).

إعداد : علاء خضر

حِكَم ومواعظ

قال الثوري عن بعض أصحابه: "ثلاث من الصَّبر: ألا تُحدِّث بوجعك، ولا بمصيبتك، ولا تزكِّي نفسك".

(تفسير ابن كثير).

من هدي رسول الله صلى الله عليه وسلم

عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا رأى ما يُحبُّ قال: «الحمد لله الذي بنعمته تتمُّ الصَّالحات، وإذا رأى ما يكره قال «الحمد لله على كلِّ حال» (سنن ابن ماجه).

من دلائل النبوة

عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال؛ وهو في قُبَّة يوم بدر: اللهم أنشدك عهدك ووعدك، اللهم إن تشأ لا تُعبَد بعد اليوم، فأخذ أبو بكر بيده فقال: حسبك يا رسول الله ألححت على ربك، فخرج وهو يثب في الدرع وهو يقول: سَيُهْزَمُ الجمعُ ويولون الدُّبُر" (صحيح البخاري).

من آفات العلم: عدم العمل به

قال مالك بن دينار: "إنَّ العالم إذا لم يعمل بعلمه زلَّت موعظته عن القلوب كما يزل القَطْر عن الصَّفا".

(عيون الأخبار).

من أقوال السلف

سمع زيادُ بن أبيه امرأةً تقول: "اللَّهمَّ اعزِلْ عنَّا زيادًا"، فقال: زيدي في دعائِك: وأبْدِلنا خيرًا منه؛ فإنَّ الأخيرَ أبدًا شرٌّ".

(محاضرات الأدباء للأصفهاني).

أثر السياق في فهم النص

الحلقة (١٠٣)

حجاب المرأة المسلمة (١٣)

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعدُ:

نواصل الحديث عن أدلة حجاب المرأة المسلمة، وقد تكلمنا في الحلقات السابقة عن آيات الحجاب، ثم انتقلنا إلى الأحاديث، فذكرنا أحد عشر حديثًا، ونستأنف البحث بإذن الله تعالى.

إعداد: د. متولي البراجيلي

الحديث الثاني عشر:

عن عائشة رضي الله عنها قالت: إن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها، دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وعليها ثياب رِقاق فأعرض عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقال: يا أسماء، إن المرأة إذا بلغت المحيض لم تصلح أن يُرَى منها إلا هذا وهذا. وأشار إلى وجهه وكفيه. (أخرجه أبو داود والبيهقي بنحوه).

ولأهمية هذا الحديث فهو العمدة للقائلين بكشف الوجه؛ فإننا سوف نتوقف معه بالبحث والتأمل.

سند حديث أبي داود:

حدثنا يعقوب بن كعب الأنطاكي، ومؤمل ابن الفضل الحراني، قالا: ثنا الوليد عن سعيد بن بشير عن قتادة عن خالد. قال أبو داود: هذا مرسل خالد بن دريك لم يدرك عائشة رضي الله عنها.

رواة الحديث:

١- يعقوب بن كعب: ثقة. (انظر تقريب التهذيب ت ٧٨٢٩، تهذيب التهذيب ت ٧٥٩).

٢- مؤمل بن الفضل: صدوق. (انظر تقريب التهذيب ت ٧٠٣٢، تهذيب التهذيب ت ٦٨٦).

٣- الوليد بن مسلم: ثقة لكنه كثير التدليس، وأكثره تدليس التسوية (انظر تهذيب التهذيب ت ٨٦٢٠).

(فائدة: تدليس التسوية: هو أن يروي حديثًا عن شيخ ثقة غير مدلس، وذلك الثقة يرويه عن ضعيف عن ثقة، فيأتي المدلس الذى سمع من الثقة الأول غير المدلس فيسقط الضعيف الذي في السند، ويجعل الحديث عن شيخه الثقة الثاني بلفظ محتمل، فيستوي الإسناد كله ثقات، وهذا شر أقسام التدليس، قادح فيمن تعمد فعله.. وكان الوليد بن مسلم ممن يفعل ذلك. (انظر التدليس والمدلسون لحماد الأنصاري ٢/ ٩٤).

قلت: من ذكر أن الوليد بن مسلم - مع إمامته - كان يدلس تدليس التسوية ذكر أنه كان يفعل ذلك مع أحاديث الأوزاعي، فكان يحذف الرواة الضعفاء الذين يروي عنهم الأوزاعي محتجًا أنه ينبل الأوزاعي أن يروي عن مثل هؤلاء- أي الضعفاء، ويفعل ذلك أيضًا مع ابن جريج. (انظر توضيح الأفكار للصنعاني ١/ ٣٣٨).

ووصف الحافظ ابن حجر الوليد ابن مسلم بالتدليس الشديد مع الصدق. (انظر تعريف أهل التقديس ص٥١). وقد عنعن الوليد روايته عن سعيد بن بشير.

٤- سعيد بن بشير: أكثر أهل العلم على تضعيفه (انظر تهذيب التهذيب٢٦٧٤)، وقال الحافظ في التقريب: ضعيف (تقريب التهذيب ت ٢٢٧٦).

٥- قتادة بن دعامة السدوسي: ثقة ثبت (تقريب التهذيب ت ٥٥١٨)، وهو مشهور بالتدليس وصفه به النسائي وغيره. (انظر تعريف أهل التقديس ص٤٣).

٦- خالد بن دريك: ثقة يرسل. (تقريب التهذيب ت ١٦٢٥).

على ضوء النظر في سند الحديث فإن فيه أربع علل:

١- الانقطاع بين خالد بن دريك وبين عائشة رضي الله عنها، فهو لم يدرك عائشة رضي الله عنها.

٢- ضعف سعيد بن بشير.

٣- عنعنة الوليد بن مسلم.

٤- عنعنة قتادة بن دعامة، كما أن فيه علة خامسة، وهي الاضطراب، قال ابن عدي: ولا أعلم رواه عن قتادة غير سعيد ابن بشير، وقال مرة فيه عن خالد بن دريك عن أم سلمة بدل عائشة رضي الله عنهما. (انظر: الكامل في ضعفاء الرجال ٤١٧/٤).

وكذلك في ميزان الاعتدال: خالد بن دريك عن عائشة - رضي الله عنها- منقطع لم يسمع منها، وثقه ابن معين والنسائي، لكن روايته عن الصحابة مرسلة. (انظر ميزان الاعتدال للذهبي ٦٣٠/١)، وقد قوّى الحديث الشيخ الألباني، فقال: لكن الحديث قد جاء من طرق أخرى يتقوى بها:

١- أخرج أبو داود في مراسيله عن قتادة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: إن الجارية إذا حاضت لم يصلح أن يُرَى منها إلا وجهها ويداها إلى المفصل. (المراسيل لأبي داود).

٢- أخرج البيهقي من طريق ابن لهيعة عن عياض بن عبدالله أنه سمع إبراهيم بن عبيد بن رفاعة الأنصاري يخبر عن أبيه، أظن عن أسماء ابنة عميس أنها قالت: دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على عائشة بنت أبي بكر وعندها أختها أسماء بنت أبي بكر وعليها ثياب شامية واسعة الأكمام، فلما نظر إليها رسول الله صلى الله عليه وسلم قام فخرج، فقالت عائشة رضي الله عنها تنحَي؛ فقد رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرًا كرهه، فتنحت، فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألته عائشة رضي الله عنها لمِ قام؟ قال: أو لم تري إلى هيئتها، إنه ليسَ للمرأة، أن يبدو منها إلا هذا وأخذ بكميه فغطى بهما ظهر كفيه حتى لم يبدو من كفيه إلا أصابعه ثم نصب كفيه على صدغيه حتى لم يبد إلا وجهه. (السنن الكبرى البيهقي ح ١٣٤٩٧، وقال: إسناده ضعيف، وقال الهيثمي في المجمع: رواه الطبراني في الكبير والأوسط إلا أنه قال (ثياب شامية) بدل (سابغة) وفيه ابن لهيعة وحديثه حسن وبقية رجاله رجال الصحيح ح ٨٦١٤).

قال الألباني: وعلته ابن لهيعة، وهو ثقة فاضل، لكنه كان يحدّث من كتبه فاحترقت؛ فحدّث من حفظه فخلط، وبعض المتأخرين يُحسِّن حديثه، وبعضهم يصححه، ثم قال: والذي لا شك فيه أن حديثه في المتابعات والشواهد لا ينزل عن رتبة الحسن، وهذا منها، وقد قوّى البيهقي حديث عائشة رضي الله

عنها الذي رواه خالد بن دريك من وجهة أخرى، فقال: قال أبو داود: هذا مرسل؛ خالد بن دريك لم يدرك عائشة، ثم قال البيهقي: مع هذا المرسل قول من مضى من الصحابة رضي الله عنهم في بيان ما أباح الله من الزينة الظاهرة، فصار القول بذلك قويًا ووافقه الذهبي في تهذيب سنن البيهقي، والصحابة الذين يشير إليهم البيهقي: عائشة وابن عباس وابن عمر - واللفظ للأخير - يعني ابن عمر)؛ الزينة الظاهرة: الوجه والكفان. (انظر: جلباب المرأة المسلمة ص٥٨-٥٩، السنن الكبرى للبيهقي ٣١٩/٢).

كما ذكر الشيخ الألباني أثرين عن ابن عباس وابن عمر رضي الله عنهم في تفسير (إلا ما ظهر منها)؛ قال: الكف ورقعة الوجه، وقال: إن سندهما صحيح. (انظر تمام المنة ص١٦٠).

وابن كثير استأنس بحديث عائشة رضي الله عنها عندما نقل تفسير (إلا ما ظهر منها) فقال: ويحتمل أن ابن عباس ومن تابعه أرادوا تفسير (ما ظهر منها) بالوجه والكفين، وهذا هو المشهور عند الجمهور، ويستأنس له بالحديث الذى رواه أبو داود في سننه، ثم ذكر الحديث... وعلق عليه فقال: لكن قال أبو داود وأبو حاتم الرازي: هذا مرسل؛ خالد بن دريك لم يسمع من عائشة، فالله أعلم. (انظر تفسير ابن كثير ٤٥/٦-٤٦).

مسألة هامة:

هل يتقوى الحديث الضعيف بكثرة طرقه؟ هذه المسألة في غاية الأهمية، فليست كل الطرق تقوّي الحديث الضعيف، فالطرق شديدة الضعف وإن تعددت فلا يتقوى بها الحديث، وإنما يتقوى الحديث بالطرق التي فيها ضعف يسير، على تفصيل في ذلك؛ يقول الشيخ أحمد شاكر: إذا كان ضعف الحديث لفسق الراوي أو اتهامه بالكذب، ثم جاء من طرق أخرى من هذا النوع فإنه لا يرقى إلى الحسن، بل يزداد ضعفًا إلى ضعف؛ إذ إن تفرُّد المتهمين بالكذب أو المجروحين في عدالتهم بحديث لا يرويه غيرهم يرجح عند الباحث المحقق التهمة، ويؤيد ضعف روايتهم. (انظر شرح ألفية الحديث ص ١٦).

ويقول الشيخ الألباني: «من المشهور عند أهل العلم أن الحديث إذا جاء من طرق متعددة؛ فإنه يتقوى بها، ويصير حجة وإن كان كل طريق فيها على انفراده ضعيفًا، ولكن هذا ليس على إطلاقه، بل هو مقيّد عند المحققين منهم بما إذا كان ضعف رواته في مختلف طرقه ناشئًا من سوء حفظهم لا من تهمة في صدقهم أو دينهم، وإلا فإنه لا يتقوى مهما كثرت طرقه، وهذا ما نقله المحقق المناوي في (فيض القدير) عن العلماء، قالوا: وإذا قوي الضعف لا ينجبر بوروده من وجه آخر؛ وإن كثرت طرقه، ومن ثَمَّ اتفقوا على ضعف حديث: «من حفظ على أمتي أربعين حديثًا»؛ مع كثرة طرقه لقوة ضعفها وقصورها عن الجبر، خلاف ما خفَّ ضعفه ولم يقصر الجابر عن جبره؛ فإنه ينجبر ويعتضد.. ومع هذا فلا بد لمن يريد أن يقوّي الحديث بكثرة طرقه أن يقف على حال كل طريق منها حتى يتبين له مبلغ الضعف فيها. (انظر تمام المنة ص٣١- ٣٢).

فهل حديث عائشة رضي الله عنها من النوع الذي يتقوى بكثرة طرقه وشواهده، أم هو من النوع الذى لا يتقوى؟ هذا ما نستأنفه في العدد القادم إن شاء الله وقدَّر.

وللحديث بقية، والحمد لله رب العالمين.



الحلقة الثانية

وقفات شرعية مع ظاهرة الزواج العرفي

إعداد المستشار/ أحمد السيد علي إبراهيم

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

تحدثنا في العدد الماضي عن الزواج العرفي وانتشاره، ونستكمل في هذا العدد الحديث عن شروط انعقاد الزواج الشرعي الصحيح، فنقول وبالله تعالى التوفيق.

شروط الانعقاد:

هي التي يلزم توافرها في أركان العقد مجتمعة أو منفردة، أو في أُسُس العقد وركائزه، وإذا تخلَّف شرط واحد منها كان العقد باطلًا باتفاق أهل العلم.

وشروط الانعقاد نوعان:

نوعٌ يرجعُ إلى العاقد نفسه (الزوج والزوجة) وهو: العَقْلُ، فلا يَنْعَقِدُ نكاح المَجْنون والصَّبي الذي لا يَعْقل، لأنّ العقل من شروط الأهليّة، ونوعٌ يرجع إلى مَكان العقد وهو اتّحاد المجلس.

وشروط الانعقاد أربعةٌ وهي:

١- أهليّة العاقدين بالتمييز وصلاحيتهما لوقوع العقد عليهما: فإذا كان أحد العاقدين فاقد الأهليّة للعقد بأن كان مجنونًا أو صغيرًا غير مميَّز فلا ينعقد الزواج بعبارته كما لا ينعقد منه أي عقد أو تصرف آخر؛ لأنَّ فاقد التمييز ليس له إرادة ولا يُتصوَّر منه رضا يعتمد عليه في العقد.

٢- اتحاد مجلس العقد: والمقصود باتحاد مجلس العقد أنَّ الإيجاب إذا صدر من أحد العاقدين فلا يجب أن يوجد من أحدهما ما يدلّ على الإعراض عن إتمام العقد صراحةً أو ضمنًا، وألا ينشغل أحدهما بأمر خارج عن موضوع عقد الزواج أثناء إجرائه حتى يصدر القبول، لأنه إن وُجد ذلك يُعدّ فاصلًا للإيجاب فلا يوافق القبول.

٣- موافقة القبول للإيجاب ولو بشكل ضمني، حتى يتحقق اتفاق الإرادتين الصادرتين من العاقدين على شيء واحد محدد، فإذا خالف القبول الإيجاب لم ينعقد الزواج، إلا إذا كانت المخالفة تؤدّي إلى جلب خير للموجب فإنها تكون موافقة ضمنيّة.

٤- سماع وفهم كل من العاقدين كلام الآخر، مع علم القابل أنَّ قصد الموجب بعبارته إنشاء الزواج وإتمام العقد، وعلم الموجب كذلك أنَّ قصد القابل الرضا به والموافقة عليه.

شروط الصحة:

هي التي يجب أن تتوفَّر في العقد حتى يترتب عليه الأثر الشرعي بعد تمامه، وشروط الصحة اثنان، هما:

١- أن تكون الزوجة غير محرَّمة على من

يريد الزواج منها تحريمًا مؤقتًا، ومنها مثلًا أن تكون مُتَزَوِّجَة، أو مُعْتَدَّة لغيره لم تنته عدّتها الشرعيّة، أو مُطلقة منه ثلاث طلقات ما لم تُحلّل، أو أن تكون مُرتَدّة، أو غير كتابيّة، أو وثنيّة، أو أَمَة (عَبْدَة) والناكحُ حُر، أو زوجة خامسَة، أو يَكونُ مُتَزَوِّجًا بأختها وغيرها ممّن لا يجمع بينه وبينها، فمن عقد على واحدة من هؤلاء ممّن لا يَحل له العقد عليهن فزواجه غير صحيح.

٢- أن يحضر عقد الزواج شاهدان: ويُشترط في الشهود أن يكونا رجلين، لأنه عقد له شأنه، ولما يترتب عليه من آثار وحقوق، ولتعلّقه بالأبضاع التي كان الأصل فيها التحريم، ولأنه يترتب على عدم إعلانه بحضور الشهود أن يشك الناس ويسيئوا الظن إذا رأوا رجلًا يتردد على امرأة بشكل مستمر من غير أن يكونا قد أعلنا زواجهما وشهد على ذلك الناس، وقد ذُكرت شروط الشهود في باب الأركان.

شُروطُ النَّفاذ:

العقد النافذ هو العقد الذي صدر صحيحًا ممن له ولاية إصداره بمعنى أنه صدر من شخص بالغ عاقل كامل الأهلية، أي ممن له أهلية الأداء وله ولاية إنشائه، سواء أنشأه لنفسه أو لمن في ولايته، أو لمن وكله في إنشائه.

وتكمن تلك الشروط في أن يكون العاقد بالغًا، أما نكاح الصَّبي العاقل وإن كان مُنعَقدًا إلا أنه غير نَافِذ، بل نَفاذُهُ يَتَوَقف على إجازَة وَليّه، ولا يتوقف علي بُلوغ الصغير، حتى إذا بَلَغ قبل أن يُجيزَهُ الوَليُّ فإنَه لا يَنفَذ بمجرد البلوغ إلا إذا أجازه الصغير بعد بلوغه هو أو وليّه.

شروط اللزوم:

هي التي ينبني عليها استمراريّة العقد من عدمها. فإذا تخلّف شرط واحدٌ من هذه الشروط كان العقد جائزًا قابلًا للنفاذ والفسخ، أو غير لازم؛ وهو الذي يجوز لأحد العاقدين أو لغيرهما فسخه أو طلب فسخه بسبب ذلك الشرط. وشروط لزوم الزواج يجمعها شرط واحد، وهو ألّا يكون للزوجين أو غيرهما طلب فسخ أو فسخ العقد بعد انعقاده ووقوعه تامًا صحيحًا، أما إن كان لأحد حق فسخه كان العقد صحيحًا نافذًا غير لازم، فلو تزوّجت المرأة ووجدت بزوجها عيبًا لا يمكنها أن تعاشره بوجود ذلك العيب إلا بضرر فإنّ زواجها غير لازم؛ لأنّ لها الحق في طلب فسخه، سواء أكان العيب قبل الزواج ولم تعلم به أم حدث بعده ولم ترضَ به.

الوقفة الثالثة: الزواج العرفي الموافق للشرع:

الزواج العرفي الموافق للشرع هو الزواج الذي لا يُكتب في الوثيقة الرسمية التي بيَد المأذون، وقد يعلم به غير الشهود من الأهل والأقارب والجيران. وهو عقد قد استكمل الأركان والشروط المُعتبرة شرعًا في صحَّة العقد -السابق بيانها- وبه تثبت جميع الحقوق من حَلّ الاتصال، ومن وُجوب النَّفَقَة على الرجل، ووُجوب الطاعة على المرأة، ونَسب الأولاد من الرجل، وهو العقد الشَّرْعي الذي كان معهودًا عند المسلمين إلى عهد قريب، وقد كان الضمير الإيماني كافيًا عند الطرفين في الاعتراف به، وفي القيام بحُقوقه الشرعية على الوجه الذي يقضي به الشرع، ويتطلبه الإيمانُ.

وقد رأى المقنن المصري- حفظًا للأُسَر، وصَونًا للحياة الزوجية، والأعراض من هذا التلاعُب- أن دعاوى الزوجية لا تُسمع إلا إذا كانت الزوجية ثابتةً بورقة رسمية، وبذلك التشريع صار الذين يُقدمون على الزواج العُرفي، ويَلْحقهم شيءٌ من آثاره السيئة، هم وحدهم الذين يتحملون تبعات ما يتعرضون له من هذه الآثار، كما يتحملون إثم ضياع الأنساب للأولاد وحرمانهم عند الإنكار، وهم المسئولون عن تصرُّفاتهم أمام الله، وأمام الناس.

الأسباب، والدوافع الداعية إليه:

وقد انتشر هذا النوع من الزواج بين الناس بسبب الدوافع الآتية:

أولًا: الرغبة في التعدد، والخوف من رد فعل الزوجة الأولى والأولاد: رخص الله للرجال الزواج بأكثر من امرأة، فقال تعالى: «وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ ۖ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَلَّا تَعُولُوا» (النساء: ٣).

ثانيًا: الخوف من المجتمع: وقد يكون الزوج أو الزوجة أرمل، أو مطلقًا، ويرغب في الزواج بمن

تعينه على متطلبات الحياة، إلا أن كليهما أو أحدهما يخشى من أولاده، أو يخشى على مكانته الاجتماعية، فيلجأ إلى الزواج العرفي كحل لهذه المعضلة.

ثالثًا: الزواج من أجانب:

حيث يعمد بعض كبار السن من الأجانب إلى الزواج بالفتيات القاصرات، نظير مبلغ مالي، فيقوم أولياء أمورهن بتزويجهن عرفيًا.

رابعًا: الخوف من انقطاع المعاش:

وقد تستحق المرأة معاش أبيها، أو أمها، أو زوجها السابق المتوفى، وهي صغيرة وتحتاج إلى الزواج لتعف نفسها، وفي نفس الوقت تخاف من انقطاع المعاش الذي تقوم بصرفه حال توثيق زواجها، فتعمد إلى الزواج العرفي خشية انقطاع هذا المعاش.

خامسًا: الخوف من سقوط حضانة الصغار:

وقد تلجأ بعض الزوجات إلى الزواج العرفي خشية من سقوط حقها في حضانة أطفالها الصغار، إذا تزوجت رسميًا، وندعو المسئولين أيضًا إلى تعديل القانون ليظل الصغار في حضانة الأمهات بعد زواجهن، ولا سيما وأن هذا لا يخالف الشرع حيث قال تعالى: «وَرَبَٰٓئِبُكُمُ ٱلَّٰتِي فِي حُجُورِكُم مِّن نِّسَآئِكُمُ ٱلَّٰتِي دَخَلۡتُم بِهِنَّ» (النساء: ٢٣)؛ فالغالب أن تأتي البنت لتعيش مع أمها بعد زواجها من آخر، وتربى في حجره، ولم تسقط حضانتها بالزواج.

سادسًا: رفع سن الزواج لثمانية عشر عامًا:

حيث تم رفع سن زواج الإناث من ست عشرة سنة إلى ثماني عشرة سنة بموجب المادة ٣١ مكرر من القانون رقم ١٤٣ لسنة ١٩٩٤م بشأن الأحوال المدنية المضافة بالمادة الخامسة بالقانون رقم ١٢٦ لسنة ٢٠٠٨ والتي نصت على أن: «لا يجوز توثيق عقد زواج لمن لم يبلغ من الجنسين ثماني عشرة سنة ميلادية كاملة.. ويعاقب تأديبيًا كل من وثَّق زواجًا بالمخالفة لأحكام هذه المادة».

كما تم رفع سن الطفل إلى ثماني عشرة سنة في قانون الطفل رقم ١٢٦ لسنة ٢٠٠٨م، وفي الدستور المصري- أيضًا - حيث نصَّت المادة ٨٠ منه على أن: «يُعَدُّ طفلاً كل من لم يبلغ الثامنة عشرة من عمره» ورغبة من بعض أولياء أمور الفتيات- اللاتي لم يبلغن سن الثامنة عشرة - في تزويجهن وخوفًا من المسئولية القانونية التي قد يواجهونها حال تزويجهن بالمخالفة للقانون، فقد طفت على الساحة ظاهرة تزويج الفتيات عرفيًا، ثم توثيق هذا الزواج حال بلوغ الفتيات سن الثامنة عشرة، وقد جرت عدة محاولات برلمانية بإعادة تخفيض سنّ زواج الفتيات إلى ستة عشر عامًا، إلا أنها باءت بالفشل!!

الأضرار المترتبة على هذا النوع من الزواج:

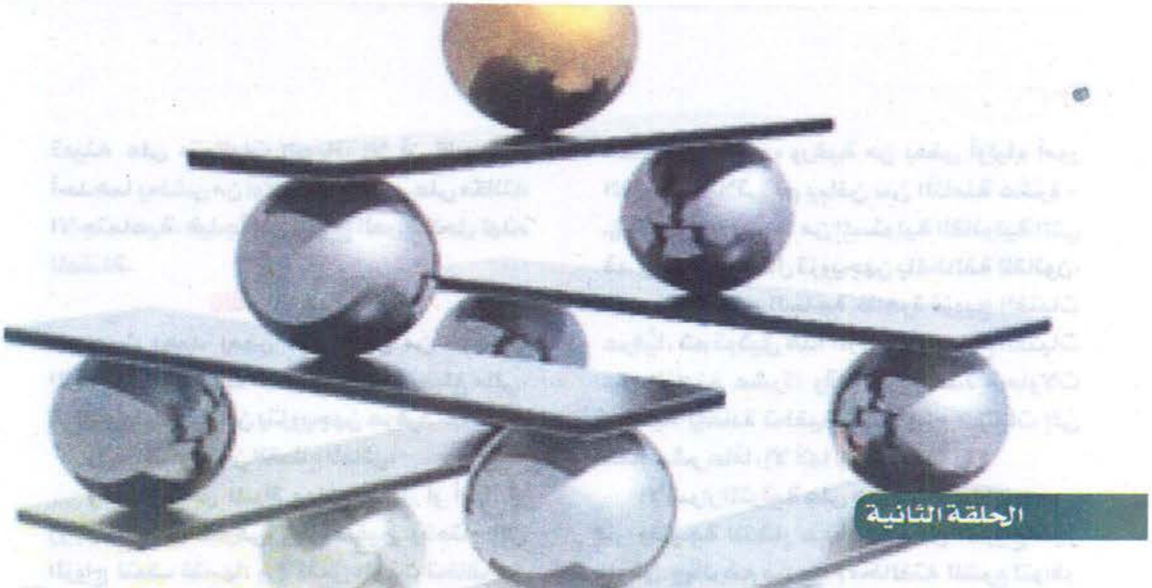
ونتيجة انتشار هذا النوع من الزواج غير الموثق، وبالرغم من عدم مخالفته للشرع لتوافر أركانه، وشروطه-كما سبق بيانه- إلا أن الواقع قد أسفر عن العديد من الأضرار المترتبة عليه، منها:

١- عدم إمكانية إثبات هذا الزواج في حالة الإنكار: نصت المادة ١٧ فقرة ٢ من قانون الأحوال الشخصية رقم ١ لسنة ٢٠٠٠ على أن: «... ولا تقبل عند الإنكار الدعاوى الناشئة عن عقد الزواج - في الوقائع اللاحقة على أول أغسطس سنة ١٩٣١ - ما لم يكن الزواج ثابتًا بوثيقة رسمية، ومع ذلك تقبل دعوى التطليق أو الفسخ بحسب الأحوال دون غيرهما إذا كان الزواج ثابتًا بأية كتابة».

فقد تنشأ الخلافات الزوجية بين الزوجين، ويعمد أحدهما إلى التخلص من ورقة الزواج العرفي، وينكره، فلا يستطيع الطرف الآخر أن يثبته؛ مما يؤدي إلى ضياع حقوقه.

٢- عدم إمكانية إثبات نسب الأولاد الناتجين من هذا الزواج، أكَّدت العديد من الدراسات أن قضايا النَّسب من الزواج العرفي ارتفعت إلى أكثر من ١٥ ألف قضية سنويًا، وأغلب هذه القضايا يُقْضَى برفضها نتيجة إنكار الزوج للزواج، وعدم استطاعة المرأة أو وليها إثباته، وتشتد المسألة حال وفاة الزوج قبل بلوغ الزوجة ثمانية عشر عامًا، وإثبات الزواج.

وللحديث بقية إن شاء الله، والحمد لله رب العالمين.



الحلقة الثانية

الوسطية عند أهل السنة والجماعة

إعداد/ معاوية محمد هيكل

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبعد:

فإن عقيدة أهل السنة والجماعة – والتي هي عقيدة الإسلام الصحيحة – وسط بين عقائد الفرق الضالة المنتسبة إلى دين الإسلام، فهي في كل باب من أبواب العقيدة وسط بين فريقين آراؤهما متضادة، أحدهما غلا في هذا الباب والآخر قصَّر فيه، أحدهما أفرط والثاني فرَّط، فهي حق بين باطلين؛ فأهل السنة وسط أي عُدُول خيار – بين طرفين منحرفين، في جميع أمورهم.

وقد بينَّا في المقال السابق طرفًا من الأصول العقدية التي تبيّن وسطية أهل السنة بين الفِرَق، وفي هذا المقال نكمل ما بدأناه فنقول وبالله التوفيق

أولاً: وسطية أهل السنة في باب الأسماء والأحكام

والمراد بالأسماء: أسماء الدين، وهي تلك الألفاظ التي رتب الله- عز وجل- عليها وعدًا ووعيدًا؛ مثل: مؤمن، ومسلم، وكافر، وفاسق.

والمراد بالأحكام: أحكام أصحاب هذه الأسماء في الدنيا والآخرة.

وتأتي أهمية معرفة هذه الأسماء الشرعية وحدودها لما يترتب عليها من الأحكام الدنيوية والأخروية.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "ومعرفة حدود الأسماء واجبة، لاسيما حدود ما أنزل الله على رسوله"، (الفتاوى: ٣٧/٢٠).

وقال رحمه الله أيضاً: إذَا تَبَيَّنَ ذَلِكَ فَاعْلَمْ أَنَّ "مَسَائِلَ التَّكْفِيرِ وَالتَّفْسِيقِ" هِيَ مِنْ مَسَائِلِ "الْأَسْمَاءِ وَالْأَحْكَامِ" الَّتِي يَتَعَلَّقُ بِهَا الْوَعْدُ وَالْوَعِيدُ فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ وَتَتَعَلَّقُ بِهَا الْمُوَالَاةُ وَالْمُعَادَاةُ وَالْقَتْلُ وَالْعِصْمَةُ وَغَيْرُ ذَلِكَ فِي الدَّارِ الدُّنْيَا؛ فَإِنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ أَوْجَبَ الْجَنَّةَ لِلْمُؤْمِنِينَ وَحَرَّمَ الْجَنَّةَ عَلَى الْكَافِرِينَ وَهَذَا مِنْ الْأَحْكَامِ الْكُلِّيَّةِ فِي كُلِّ وَقْتٍ وَمَكَانٍ. (مجموع الفتاوى: ٤٦٨/١٢).

وقال الحافظ ابن رجب رحمه الله: (وهذه المسائل: أعني مسائل الأسماء والإيمان، والكفر والنفاق، مسائل عظيمة جداً؛ فإن الله عز وجل علّق بهذه الأسماء السعادة والشقاوة واستحقاق الجنة والنار، والاختلاف في مسمياتها أول اختلاف وقع في هذه الأمة).

(جامع العلوم والحكم: ص٧٢).
وهو مخالفة الخوارج للصحابة، حيث أخرج الخوارج عصاة الموحدين من الإسلام بالكلية، وأدخلوهم في دائرة الكفر، وعاملوهم معاملة الكفار، واستحلوا بذلك دماء المسلمين وأقوالهم. ثم حدث بعدهم خلاف المعتزلة وقولهم بالمنزلة بين المنزلتين.
ثم حدث خلاف المرجئة وقولهم: إن الفاسق مؤمن كامل الإيمان.
(وكم هلك بسبب قصور العلم وعدم معرفة الحدود والحقائق من أمة وكم وقع بذلك من غلط وريب وغمة، مثال ذلك: "الإسلام" و"الشرك" نقيضان لا يجتمعان ولا يرتفعان والجهل بالحقيقتين أو أحدهما أوقع كثيرا من الناس بالشرك وعبادة الصالحين لعدم معرفة الحقائق وتصورها). اهـ. (منهاج التأسيس: ص١٢)
لذلك فإن مما يتعين الاعتناء به معرفة حدود ما أنزل الله على رسوله؛ لأن الله سبحانه ذم من لا يعرف حدود ما أنزل الله على رسوله فقال تعالى: ﴿ ٱلْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا۟ حُدُودَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ (التوبة: ٩٧).
وفي هذا الباب العقدي الخطير تجلت وسطية أهل السُّنَّة والجماعة. قال شيخ الإسلام ابن تيميَّة- رحمه الله تعالى-: "وفي باب أسماء الإيمان والدِّين (أي: فهم وسط) بين الحروريَّة والمعتزلة، وبين المرجئة والجهمية"؛ ("الواسطية" ص١٩٠).
والحروريَّة: هم الخوارج الذين خرجوا على عليٍّ- رضي الله عنه- حينما قبل التحكيم بينه وبين معاوية- رضي الله عنه- فنزلوا واجتمعوا "بحروراء"؛ وهي بلدة قرب الكوفة، وسموا بذلك نسبة إليها.
ومسألة "الأسماء والأحكام" من أوَّل ما وقع فيه النِّزاع في الإسلام بين الطوائف المختلفة، وكان للأحداث السياسيَّة والحروب التي جرت في ذلك الحين وما ترتَّب عليها من ظهور الخوارج والرافضة والقدريَّة أثر كبير في ذلك النِّزاع.
فالخوارج "الحرورية" والمعتزلة ذهبوا إلى أنَّه لا يستحقّ اسم "الإيمان" إلا مَن صدَّق بجنانه، وأقرَّ بلسانه، وقام بجميع الواجبات، واجتنب جميعَ الكبائر، فمَن ارتكب الكبيرة عندهم لا يُسمَّى مؤمنًا؛ باتِّفاق بين الفريقين.
ولكنَّهم اختلفوا: هل يسمَّى "كافرًا" أو لا؟ فالخوارج يسمُّونه "كافرًا"، ويستحلُّون دمه وماله؛ ولهذا كفَّروا عليًّا ومعاوية- رضي الله عنهما- وأصحابهما، واستحلوا منهم ما يستحلُّون من الكفَّار؛
وأمَّا المعتزلة فقالوا: إنَّ مرتكب الكبيرة خرج من الإيمان ولم يدخُل في الكفر؛ فهو بمنزلة بين المنزلتين؛ وهذا أحد الأصول التي قام عليها مذهب الاعتزال.
واتَّفق الفريقان (الخوارج والمعتزلة) أيضًا: على أنَّ مَن مات على كبيرةٍ ولم يتبْ منها فهو مخلَّد في النار.
فوقع الاتفاق بينهما في أمرين:
(١) نفي الإيمان عن مرتكب الكبيرة.
(٢) خلوده في النار مع الكفار.
ووقع الخلاف أيضًا في موضعين:
١- تسميته كافرًا.
٢- استحلال دمه وماله، وهو الحكم الدنيوي.
وأمَّا المرجئة: فمذهبهم، أنَّه لا يضرُّ مع الإيمان معصية؛ فمرتكب الكبيرة عندهم مؤمن كامل الإيمان، ولا يستحقُّ دخول النار
ومذهب "أهل السُّنَّة والجماعة" وسط بين هذين المذهبين؛ فمرتكب الكبيرة عندهم مؤمن ناقص الإيمان، قد نقص من إيمانه بقدرِ ما ارتكب من المعصية، فلا ينفون عنه الإيمان أصلاً كالخوارج والمعتزلة، ولا يقولون بأنَّه كامل الإيمان كالمرجئة والجهمية.
وحكمُه في الآخرة عندهم: أنَّه قد يعفو الله- عزَّ وجلَّ- عنه فيدخل الجنَّة ابتداءً، أو يُعذِّبه بقدر معصيته، ثم يخرجه ويدخله الجنَّة، وهذا الحكم أيضًا وسط بين مَن يقول بخلوده في النار، وبين مَن يقول: إنَّه لا

يستحقُّ على المعصية عقابًا؛ (انظر: "شرح الشيخ الهراس").

ثانيًا: وسطية أهل السنة في باب الوعيد

قال شيخ الإسلام ابن تيميَّة- رحمه الله تعالى-: "أهل السنة وسط في- باب وعيد الله بين المرجئة وبين الوعيديَّة من القدريَّة وغيرهم". ("الواسطية" ص١٨٨).

فأهل السُّنَّة والجماعة وسط في باب "الوعيد" بين المفرطين من "المرجئة" الذين قالوا: لا يضرُّ مع الإيمان ذنب، كما لا تنفعُ مع الكفر طاعة، أو زعموا أنَّ الإيمان مجرَّد التصديق بالقلب والنُّطق باللسان، والأعمال ليست من الإيمان!

وسموا "مرجئة" نسبة إلى الإرجاء؛ أي: التأخير؛ لأنَّهم أخَّروا الأعمال عن الإيمان.

وزعم "غلاتهم" أنَّ الإيمان هو مجرَّد التصديق بالقلب فقط، وإن لم ينطق بالشهادتين! ولا شكَّ أنَّ هذا "كفر"، ولا يكون الرجل مؤمنًا بذلك، و"الماتريدي" يقول: إنَّ الإقرار باللسان ركن زائد وليس بأصلي!

هؤلاء في طرف، ويُقابلهم في الطرف الآخَر: "الوعيدية": وهم الخوارج والمعتزلة، وقول شيخ الإسلام: "من القدرية وغيرهم" يشملُ المعتزلة؛ لأنهم قدرية، ويشمل الخوارج، وقد اتَّفقا على أنَّ مرتكب الكبيرة مخلَّد في النار، لا يخرج منها أبدًا إذا مات عليها ولم يتبْ منها، لأنهم يقولون: إنَّ الله تعالى يجبُ عليه عقلاً أنْ يعذب العاصي، كما يجب عليه أنْ يثيب المطيع؛ فمَن مات على كبيرة ولم يتب منها لا يجوز عندهم أنْ يغفرَ الله له! فعندهم أنَّ مَن ارتكب كبيرة مرَّة ولم يتبْ منها، كمَن عاش حياته على عبادة الأوثان ومات عليها!

ومذهبهم باطلٌ مخالفٌ للكتاب والسُّنَّة وأهله ضُلاَّل؛ قال تعالى: « إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ » (النساء: ٤٨).

وما جاء في الصحيحين أنَّ النبيَّ- صلَّى الله عليه وسلَّم- يشفع في أناس من المسلمين دخلوا النار بذنوبهم، فيخرجهم من النار وقد امتحشوا- أي: احترقوا- فيدخلهم الجنَّة ويصب عليهم من ماء الحياة، فتُنبت أجسادهم، ويُسميهم أهل الجنَّة بالجهنَّميين.

وروى الإمام أحمد وأبو داود والنسائي وابن حبَّان في صحيحه والحاكم من حديث جابر- رضي الله عنه- أنَّ رسول الله- صلَّى الله عليه وسلَّم- قال: (شفاعتي لأهل الكبائر من أمَّتي).

وسبب ضلال الطائفتين: أنَّ كلَّ واحدة منهما نظرت إلى جانب من نصوص الوحيين وتركت جانبًا.

"فالمرجئة" نظروا إلى نصوص الوعد والمغفرة والرحمة والفضل والرجاء، فأخذوا بها، ونسوا أو تناسوا نصوص الوعيد والتهديد والعقوبة، ومنَّوا أنفسهم بأنها في الكفار، وليست في أصحاب المعاصي من المسلمين.

و"الوعيديَّة" على النقيض نظروا إلى نصوص الوعيد والعقوبة والتهديد، وأليم العذاب وشدَّة الحساب لمن عصى الله تعالى، وغفلوا عن نصوص الوعد والرحمة والمغفرة للموحِّدين، وأنهم ليسوا كالمشركين الكافرين؛ كما قال- عزَّ وجلَّ-: « أَفَنَجۡعَلُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ كَٱلۡمُجۡرِمِينَ ٣٥ مَا لَكُمۡ كَيۡفَ تَحۡكُمُونَ » (القلم: ٣٥، ٣٦)، وقال سبحانه: « أَفَمَن كَانَ مُؤۡمِنٗا كَمَن كَانَ فَاسِقٗاۚ لَّا يَسۡتَوُۥنَ » (السجدة: ١٨).

أمَّا أهل السُّنَّة والجماعة وسلف الأمَّة فأخذوا بهذا وهذا، وآمَنوا بكلِّ ما جاء في الوحيين، فقالوا: فاعل الكبيرة من المسلمين مستحقٌّ لدخول النار، كما جاء في النصوص، لكنَّه غير مخلَّد فيها، كما جاء في النصوص أيضًا، فأعملوا وحكموا كلَّ ما جاء عن الله تعالى ورسوله- صلَّى الله عليه وسلَّم- ولم يهدروا شيئًا منهما، وحقَّقوا الوسطيَّة التي وصفهم الله تعالى بها.

وبعدُ؛ فهذا منهجنا الوسطي المبارك منهج أهل السنة والجماعة والفرقة الناجية الذي ندين الله تعالى به وندعو إليه ونسأل الله أن يثبتنا عليه حتى نلقاه، والله من وراء القصد، والحمد لله رب العالمين.

باب الفقه

الحلقة الثالثة

أحكام الصلاة

الأوقات المنهي عن الصلاة فيها

إعداد د. حمدي طه

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبعدُ:

فقد تكلمنا في الحلقتين السابقتين عن الأوقات المنهي عن الصلاة فيها، فذكرنا الأحاديث التي ورد النهي فيها عن أداء الصلاة في هذه الأوقات، ثم تكلمنا عن الحكمة من النَّهي عن الصلاة في هذه الأوقات، ثم بيَّنا أن هذه الأوقات اختلف العلماء فيها في موضعين؛ أحدهما: في عددها. والثاني: في الصلوات التي يتعلق النهي عن فعلها فيها. ثم تكلمنا عن نوع الحكم المستفاد من النهي عن حكم أداء الصلاة في هذه الأوقات، ثم تكلمنا عن حكم أداء الصلاة المفروضة في هذه الأوقات، ثم تكلمنا عن النَّهي عن الصلاة في وقت الزوال.

ونبدأ في هذه الحلقة الحديث عن النَّهي عن الصلاة بعد طلوع الفجر وبعد صلاة العصر.

أولاً: تعلق النهي عن الصلاة بعد طلوع الفجر وبعد صلاة العصر: بمعنى هل النهي متعلق بفعل الصلاة أو بدخول الوقت؟

فإن الأوقات المكروهة على قسمين؛ منها ما تتعلق الكراهة فيه بالفعل بمعنى أنه إن تأخر الفعل لم تكره الصلاة قبله وإن تقدم في أول الوقت كُرهت، وذلك في صلاة العصر، وعلى هذا يختلف وقت الكراهة في الطول والقصر، ومنها ما تتعلق فيه الكراهة في الوقت كطلوع الشمس إلى الارتفاع ووقت الاستواء. (إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام لابن دقيق العيد ١/١٨١).

اتفق القائلون بالنهي عن الصلاة في هذين الوقتين على أن النهي بعد العصر متعلق بفعل الصلاة أي أن من لم يصل العصر له التنفل بما شاء ولا عبرة بدخول وقت العصر. قال الإمام النووي: «لا خلاف أن وقت الكراهة بعد العصر لا يدخل بمجرد دخول العصر، بل لا يدخل حتى يصليها» (المجموع ٤/١٦٧). وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: «والنهي في العصر معلّق بصلاة العصر، فإذا صلاها لم يصل بعدها، وإن كان غيره لم يصل، وما لم يصلها فله أن



يصلي، وهذا ثابت بالنص والاتفاق « (مجموع الفتاوى ٢٣/٢٠٠).

أما النهي عن الصلاة بعد الفجر فقد اختلفوا في تعلق النهي على قولين:

الأول: أن النهي متعلق بفعل الصلاة كالعصر، وبه قال الشافعي، وأحمد في رواية، ومال إلى ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية.

قال النووي: وأما في الصبح ففيه ثلاثة أوجه (الصحيح) الذي عليه الجمهور-أي من المذهب- أنه لا يدخل بطلوع الفجر بل لا يدخل حتى يصلي فريضة الصبح (المجموع ٤/١٦٧). وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: «فإذا قيل لا سُنة بعد طلوع الفجر إلا ركعتان؛ فهذا صحيح، وأما النهي العام فلا». (مجموع الفتاوى ٢٣/٢٠٥).

الثاني: أن النهي متعلق بطلوع الفجر أي أنه بعد طلوع الفجر الثاني يُكره التنفل بما عدا ركعتي الفجر، سواء صلى الفجر أو لم يُصلِّ، وإليه ذهب أبو حنيفة، ومالك، وأحمد في المشهور، وهو وجه للشافعية. قال المرغيناني: (ويكره أن يتنفل بعد طلوع الفجر بأكثر من ركعتي الفجر) (الهداية شرح بداية المبتدي ١/٤٠)، وقال القروي: يكره النفل في موطنين؛ بعد طلوع الفجر الصادق، ولا يباح النفل بدون كراهة. (الخلاصة الفقهية على مذهب السادة المالكية ١/٥١).

استدل أصحاب القول الأول بأدلةٍ منها:

ما جاء في حديث عمرو بن عبسة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "صلِّ صلاة الصبح، ثم أقصر عن الصلاة حتى تطلع الشمس حتى ترتفع" (صحيح مسلم برقم ١٩٥٨).

ووجه الدلالة أن قوله صلى الله عليه وسلم: "صل صلاة الصبح، ثم أقصر عن الصلاة حتى تطلع الشمس حتى ترتفع" فيه أن النهي عن الصلاة بعد الصبح لا يزول بنفس الطلوع، بل لا بد من الارتفاع. (شرح النووي على صحيح مسلم ٦/١١٦).

وعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: "شهد عندي رجال مرضيون-وأرضاهم عندي عمر- أن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن الصلاة بعد الصبح حتى تطلع الشمس، وبعد العصر حتى تغرب" (متفق عليه).

ووجه الدلالة أنه علّق الحكم وهو النهي عن الصلاة بنفس الصلاة.

فائدة:

قال ابن دقيق العيد: "في الحديث الأول ردٌّ على الروافض فيما يدعونه من المباينة بين أهل البيت، وأكابر الصحابة رضي الله عنهم. (إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام ١/١٨٠).

وعن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم: "نهى عن الصلاة بعد العصر حتى تغرب الشمس، وعن الصلاة بعد الصبح حتى تطلع الشمس" (صحيح البخاري برقم ٥٨٨).

ووجه الدلالة من هذا الحديث أنه نهى عن الصلاة بعد الصبح كما نهى عن الصلاة بعد العصر، فدلّ ذلك



على أن النهي متعلق بفعل الصلاة؛ لأن النهي بعد العصر متعلق بفعل الصلاة بلا خلاف، ولو أنه أراد الوقت لاستثنى ركعتي الفجر والفرض". (انظر المغني ٢/ ٢٦ ٥، مجموع الفتاوى ٢٣/ ٢٠٢-٢٠٣).

واستدل أصحاب القول الثاني بأدلة منها:

ما جاء عن عبد الله بن عمرو بن العاص أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول: "لا صلاة بعد طلوع الفجر إلا ركعتي الفجر". (رواه البيهقي في السنن الكبرى واللفظ له ١/ ٤٦٥، ٤٦٦، انظر حديث رقم: ٦٧٨ في صحيح الجامع).

عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "لا صلاة بعد الفجر إلا سجدتين". (أخرجه الترمذي حديث ٤١٩ وصححه الألباني. انظر إرواء الغليل حديث رقم (٤٧٨). قال الترمذي: ومعنى هذا الحديث إنما يقول لا صلاة بعد طلوع الفجر إلا ركعتي الفجر. (سنن الترمذي ٢/ ٢٧٨).

عن حفصة قالت: "كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا طلع الفجر لا يصلي إلا ركعتين خفيفتين" أخرجه مسلم، وكون النبي صلى الله عليه وسلم لا يزيد عليهما مع حرصه على الصلاة دليلاً على كراهة غيرهما في هذا الوقت. (انظر الهداية للمرغيناني ١/ ٤٠).

فائدة:

روى البيهقي بسند صحيح عن سعيد بن المسيب أنه رأى رجلاً يصلي بعد طلوع الفجر أكثر من ركعتين يكثر فيها الركوع والسجود فنهاه فقال: يا أبا محمد! أيعذبني الله على الصلاة؟! قال: لا، ولكن يعذبك على خلاف السُّنَّة. وهذا من بدائع أجوبة سعيد بن المسيب رحمه الله تعالى، وهو سلاح قوي على المبتدعة الذين يستحسنون كثيرًا من البدع باسم أنها ذكرٌ وصلاة، ثم ينكرون على أهل السنة إنكار ذلك عليهم، ويتهمونهم بأنهم ينكرون الذكر والصلاة!! وهم في الحقيقة إنما ينكرون خلافهم للسنة في الذكر والصلاة ونحو ذلك. (إرواء الغليل للألباني ٢/ ٢٣٦).

الترجيح:

بعد عرض أدلة أصحاب القولين أميل إلى أن الراجح في المسألة هو ما ذهب إليه أصحاب القول الثاني، وهو أن النهي عن الصلاة بعد الفجر متعلق بطلوع الفجر لا بفعل الصلاة، وأنه إذا طلع الفجر الثاني كره التنفل بما عدا ركعتي الفجر؛ لقوة أدلتهم، ولصراحة الأدلة على ذلك، ولا تعارضها أدلة أصحاب القول الأول؛ لأن أكثر ما فيها أنها دلّت على النهي عن الصلاة بعد صلاة الفجر، وليس فيها ما يدل على عدم النهي عند طلوع الفجر إلا بدليل الخطاب-وهو أن يكون المسكوت عنه مخالفًا للمنطوق في الحكم- ويعرف أيضاً بمفهوم المخالفة، وأدلة أصحاب القول الثاني دلت على النهي عند طلوع الفجر بالمنطوق، والمنطوق يقدم على المفهوم.

وللحديث بقية إن شاء الله.



أطفال المسلمين.. طاقات مهدرة

إعداد جمال عبد الرحمن

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه، وبعد:

فإن الله سبحانه وتعالى جعل الأطفال زينة في الحياة الدنيا، فقال جل شأنه: «ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا» (الكهف: ٤٦)، كما جعلهم مكافأة ونعمة أنعم بها على العابدين المستغفرين، فقال: «فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا» (نوح: ١٠-١٢)، بل وجعل الأولاد من البشريات التي يبشر بها الناس. قال الله تعالى: «فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ» (هود: ٧١)، وقال: «يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسْمُهُۥ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَل لَّهُۥ مِن قَبْلُ سَمِيًّا» (مريم: ٧)، وقال: «يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ» (آل عمران: ٤٥).

ثم أمر الله تعالى المؤمنين برعاية هذه البشريات البشرية، وعدم التفريط فيها، فقال: «يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ» (التحريم: ٦)، قال علي رضي الله عنه في تفسيرها: علموهم وأدبوهم». (تفسير الطبري).

لأن الأولاد ينشأون على ما عودهم عليه الآباء والمربون، فإن عُوِّدوا على الخير شبوا عليه وشابوا عليه أيضًا، وكان أجرهم ثابتًا لهم ولكل مرب لهم ومعلم، وسعدوا في الدنيا والآخرة، وإن عُوِّدوا على الشر وأهملوا إهمال البهائم شقوا، وشقي كل مُرَبٍّ لهم ومعلم، وكان الوزر على القائمين على أمرهم من أوليائهم ومعلميهم، ولذلك قالوا:

وينشأ ناشئ الفتيان منا
على ما كان عوده أبوه

ومن قبلها قالها رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم: «ما من مولود إلا ويولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه».

فالمسئولية إذن على الوالدين والمربين لا محيص عنها، والله سائل كل راع عما استرعاه، قال عليه الصلاة والسلام: «ألا كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته، فالرجل راع في بيته وهو مسئول عن رعيته، والمرأة مسئولة في بيت زوجها وهي مسئولة عن رعيتها..» الحديث.

والسائل هنا هو الله تعالى الذي يسأل يوم القيامة كل مسئول عما استرعاه، ولا بد أن يُعد كل مسئول جوابًا عن سؤاله، فإمَّا أن يوفق وإما أن يُخفق، وما توفيقنا جميعًا إلا بالله العلي العظيم، عليه توكلنا وإليه نُنيب.

أطفال المسلمين وتعمير مساجد الله:

قال الله تعالى: «إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ فَعَسَىٰٓ أُو۟لَٰٓئِكَ

﴿أَن يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾ (التوبة:١٨).

وكثيرًا ما يحضر الكبار إلى بيوت الله- إن حضروا- لا يصطحبون معهم أبناءهم،الصغير منهم أو الكبير، وفي أوقات كثيرة نرى الكبار جالسين لسماع درس أو موعظة، فنسأل: أين أبناؤكم أيها الناس؟ هل أصابكم العُقم فلم تنجبوا جميعًا، أم أنكم رزقكم الله تعالى من البنات والبنين، فلماذا لم تصطحبوهم إلى تلك البقاع الطاهرة، خير وأحب البقاع إلى الله، فيتعلل البعض منهم أن الأولاد مشغولون في دراستهم ودروسهم، فنسأل: أليس العلم الشرعي من الدروس المهمة لعامة الأمة، صغيرها وكبيرها، ذكرها وأنثاها؟ وهو العلم الذي به يعرف الناس ربهم ويعرفون حقه عليهم، فيدخلون بهذا العلم الجنة؟ قال صلى الله عليه وسلم: «مَن سلك طريقًا يلتمس فيه علمًا سهل الله له طريقًا إلى الجنة».

وقال الله تعالى: ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ (المجادلة:١١)، وقال صلى الله عليه وسلم: «طلب العلم فريضة على كل مسلم». إنه العلم الشرعي، ولا نقول بإهمال علوم الدنيا، فإن علوم الدنيا من سنن الله في خلقه، وبها استعمرنا ربنا سبحانه وتعالى في الأرض، قال الله تعالى: ﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾ (هود:٦١)، أي: طلب منكم تعميرها بكل ما فيه خير وسعادة للبشرية، لكن لا يكون تعمير الدنيا بتخريب الآخرة، فإننا خُلقنا للآخرة، والدنيا خُلقت لنا.

قال الله تعالى: «وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ» (الذاريات:٥٦)، وليتحقق هذه العبادة على الوجه المريح الأكمل سخر الله لنا الدنيا، فقال: «هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا» (البقرة:٢٩)، وقال: «اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ (٣٢) وَسَخَّر لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ (٣٣) وَآتَاكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ» (إبراهيم:٣٢-٣٤).

نعم ظلم الإنسان نفسه فاعتنى بالدنيا كل العناية وأهمل أمر الآخرة التي من أجلها خُلق، فخلت مساجد الله من العُبَّاد إلا القليل، وخلت من الأطفال، حتى من حضر فيهم لا يعرف كيف يصلي وكيف يصف الصفوف، وأين يقف وماذا يقول، وربما تكلم بعضهم أو لعب فزجره الحاضرون وطردوه خارج المسجد، فإلى أين يذهب؟ لن يجد إلا رفقة السوء وتاركي الصلاة وشاربي السجائر والمخدرات.

وأحيانًا تقف ثلة من الأطفال خارج المسجد تلهو وتلعب، وتصيح وتُشغِب، لا تجد من يأويها إلى بيت باريها، ولا من يلقنها علمًا ويهديها، فأين إذن رسالة المسجد ورسالة الدعاة القائمين على المسجد؟ ومَنْ بعد هذا لهؤلاء الصِّبْيَة المساكين الذين لم يجدوا بالبيت من يؤدبهم، ولا بالمسجد من يوجههم؟

مِنْ بركات شهر الصيام:

وفي شهر رمضان من هذا العام تكررت الصورة التي سلف الحديث عنها؛ أطفال يكثرون حيث يجتمع الناس للتراويح، فيلعبون ويجرون ويصيحون، لا يدرون ما يفعلون، وهم في كل ذلك معذورون، لم يجدوا من يخالطهم من الكبار الموجهين، كما قال أنس رضي الله عنه: «إن كان رسول الله ليخالطنا»، ولم يجدوا من يجلس معهم على طعامهم، فيوجههم ويصحح لهم أخطاءهم ويعلمهم آداب الأكل، كما كان المختار صلى الله عليه وسلم يجلس معهم على الطعام معلمًا ومؤدبًا فيقول لأحدهم: «يا غلام، سم الله، وكل بيمينك، وكل مما يليك»، وغير ذلك الكثير من مخالطة النبي صلى الله عليه وسلم واهتمامه بهذا الكيان الضخم، والثروة المهدرة فخرَّج منهم أبطالاً وفرسانًا، وعُبَّادًا ورهبانًا.

فلما رأينا هذه الطاقة الهائلة تُهدر في جري ولعب وعبث وتشويش على المصلين، دعونا من طلبة العلم مجموعة تتقاسم الوقت في جمع هؤلاء الصبية، هذا يعلمهم الآداب، وهذا يعلمهم الحديث من الأربعين النووية، وذاك يعلمهم السورة من القرآن، فحفظ بعضهم سورة النور، والبعض سورة مريم، والبعض سورة

تبارك، كل هذا كان في الليالي العشر المباركة الأخيرة من شهر رمضان المعظم، كان من المعلمين من يجلس معهم على الطعام معلمًا، ومنهم من كان يَصُفُّهم للصلاة ويقف بينهم، ومنهم من كان يشرف على جلوسهم لسماع الدروس، وكان من بين تلك الدروس درس عن: «إن الله جميل يحب الجمال». ذكرنا فيه أن من الجمال تنظيف المسجد والمحافظة على طهارته من القمامة والنجاسة، وأن الذي يمد يده ليرفع ورقة أو قشة من بيت الله، فإن الله ينظر إليه بعين الرضا... إلخ.

وكانت المفاجأة، وجدنا هؤلاء الصبية بأفكارهم الخاصة وبمجهودهم وحدهم، جمعوا من كل واحد منهم خمسة جنيهات واشتروا عشر سلال لحفظ القمامة، ومعها أكياس، ومعطر لهواء المسجد، وطلبوا منا أن نوزعها في نواحي المسجد الخالية، فشكرنا لهم هذا الصنيع أثناء إلقاء أحد الدروس، فَهَمَّ كثير من الجالسين من رواد المسجد بمكافأتهم ماليًا، فرفضوا أن يأخذوا المكافأة، وطلبنا منهم أن يقبلوها فأخذوها، وفي اليوم الثاني بفكرهم الخاص اشتروا بها مساويك للمصلين لما سمعوا درسًا، كنا نسأل الناس فيه عن هذه السنة المهملة، وهي «السواك»، فشكرنا لهم ذلك في دروس عند حضور المصلين، ففوجئنا بهم في اليوم التالي يشترون عدادات للتسبيح ليوزعوها على المصلين، كل هذا بمجهودهم ومن بنات أفكارهم، ثم وجدناهم يجمعون من أنفسهم ومن مصروفهم واشتروا كيسين من التمر الجاف لتوزيعها على المعتكفين، وكلما هممنا بمكافأة أحدهم رفض المكافأة والا يضمها لحصالتهم التي يشترون بها ما يوزعونه على رواد المسجد، فقلنا: الله أكبر، هذه هي أمة محمد صلى الله عليه وسلم، الخير فيها إلى يوم القيامة، أمة ولادة، بالساسة والقادة، وأعلام الدعوة والعبادة، ليثبت لنا قوة هذا الدين وقوة هذه الأمة التي «يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ» (التوبة: ٣٢).

ومن جميل ما رأيناه وعظيم ما شاهدناه من هؤلاء البراعم طفلان شقيقان دون الثامنة من العمر عبد الرحمن وعمر كانا بصحبة والدهما، وأثناء درس عن حديث: «إن الله جميل يحب الجمال»، تكلمنا عن تعليم الأولاد عدم إلقاء القمامة في الشوارع ومن نوافذ السيارات بالطريق العام، وفي ليلة من الليالي حضر الطفلان مع والدهما فقام يصلي فاستأذناه أن يستريحا، فأذن لهما، فطلبا منه أن يعطيهما نقودًا ليشتريا شيئًا يأكلانه، فاشتريا «شبسي»، وبعد أن أكلا ظلا ممسكين بالكيس، كل في يده وهو يلعب، واستمرا على ذلك أكثر من ساعة، يلعبان والأكياس الفارغة في أيديهما، فسألهما أبوهما بعد الصلاة، فقالا: احتفظنا بها لنضعها في كيس القمامة الذي بالسيارة، لأن الله جميل يحب الجمال.

فانظروا كيف يتعلم الأولاد بسهولة ويسر، وفطرة نقية، لكن المشكلة إذا كان الأبوان فاقدين لهذه المبادئ، ففاقد الشيء لا يعطيه، ويكون الأبوان سببًا سلبيًا في عدم التزام أولادهم بالمبادئ الشرعية والآداب الإسلامية.

وقد كرمنا هؤلاء البراعم الإيمانية على الأقل معنويًا أمام جميع الحاضرين، ورشحنا أحدهم «يوسف» ليلقي كلمة نيابة عن زملائه الصغار، فكان من كلامه: «نحن أحباب الله، نحن صغار لكننا كبار، كبار بأفعالنا التي سَبَقْنا بها الكبار، نحن نحب الخير لكل المسلمين، نحن أحباب الله...» إلخ. فوعدناهم أن نتواصل معهم بعد العيد لنكمل المسيرة في خدمة بلدنا العزيزة وأمتنا الغالية، منطلقين من بيت الله حتى لا يقع أحدهم فريسة لأفكار متطرفة هدامة، كما أننا ندعو جميع القائمين على بيوت الله تعالى أن يعتنوا بهذا النشء، تعليمًا وتأديبًا بالرحمة والرأفة، والموعظة الحسنة والحكمة.

وأن يكونوا قدوة لهم فيما يقولون ويفعلون، وأن يوصوهم- كما أوصيناهم- بألا يؤثر ذلك على علومهم ودراستهم، وعلى برهم بآبائهم والإحسان إليهم، فإن المسلم الحق ناجح في دينه ودنياه، سابق في الأولى والآخرة، ولا مكان بيننا لعاطل أو فاشل، وإنما المسلم قدوة في الدين والدنيا.

وفق الله جميع المخلصين لما فيه خير البلاد والعباد، والحمد لله إلى يوم التناد.

قصة جمع ابن عباس لأولاده في مرضه وحسنات الحرم

نواصل في هذا التحذير تقديم البحوث العلمية الحديثية للقارئ الكريم حتى يقف على حقيقة هذه القصة التي اشتهرت على ألسنة الوعاظ والقصاص، ومما ساعد على انتشارها وجودها في كتب السنة الأصلية، وإلى القارئ الكريم التخريج والتحقيق:

إعداد: علي حشيش

أولاً: المتن:

رُوِيَ أنَّ ابن عباس مرض مرضًا شديدًا، فدعا ولده فجمعهم، فقال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «مَنْ حج من مكة ماشيًا حتى يرجع إلى مكة؛ كتب الله له بكل خطوة سبع مائة حسنة، كل حسنة مثل حسنات الحرم، قيل له: وما حسنات الحرم؟ قال: بكل حسنة مائة ألف حسنة».

ثانيًا: التخريج:

١- أخرجه الإمام الحافظ أبو عبد الله الحاكم النيسابوري في «المستدرك» (٤٦٠/١) قال: حدثنا أبو علي الحافظ، حدثنا محمد بن الحسين بن حفص الخثعمي، حدثنا علي بن سعيد بن مسروق الكندي، حدثنا عيسى بن سوادة، عن إسماعيل بن أبي خالد، عن زاذان قال: «مرض ابن عباس مرضًا شديدًا فدعا ولده....» القصة.

٢- وأخرجه الإمام الحافظ أبو بكر البيهقي في «السنن الكبرى» (٧٨/١٠) قال: أخبرنا أبو عبد الله الحافظ حدثنا أبو علي الحافظ به.

٣- وأخرجه الإمام الحافظ الطبراني في «المعجم الكبير» (١٠٥/١٢) (ح١٢٦٠٦) قال: حدثنا طالب بن قرة الأذني، حدثنا محمد بن عيسى الطباع (ح) وحدثنا إبراهيم بن أحمد الوكيعي، حدثنا منصور بن أبي مزاحم قالا: حدثنا عيسى بن سوادة أبو الصباح النخعي به.

٤- وأخرجه الإمام الحافظ الطبراني في «المعجم الأوسط» (٣٢٦/٣) (ح٢٦٩٦) قال: حدثنا إبراهيم، قال: حدثنا منصور بن أبي مُزاحم، قال: حدثنا عيسى بن سوادة أبو الصباح النخعي به.

ثالثًا: التحقيق:

١- نستنتج من طرق التخريج التي بيَّنَّاها آنفًا أن الحديث التي جاءت به هذه القصة الواهية اشتهر عن عيسى بن سوادة أبو الصباح النخعي، فقد رواه عنه علي بن سعيد بن مسروق الكندي، ومحمد بن عيسى بالطباع، ومنصور بن أبي مزاحم فهذه شهرة نسبية لا مطلقة حيث إنه اشتهر عمن تفرد به، كذا قاله السخاوي في «فتح المغيث» (٧/٤).

٢- فالحديث غريب عن إسماعيل بن أبي

خالد تفرد به عنه عيسى بن سوادة أبو الصباح النخعي.

ولذلك قال الحافظ الطبراني في «المعجم الأوسط» (٣/٣٢٧): «لم يرو هذا الحديث عن إسماعيل إلا عيسى». اهـ.

٣- وما ذكره الحافظ الطبراني في بيان هذا التفرد والذي هو منهجه في «المعجم الأوسط»، وهو من أقوى مناهج المحدثين، حيث يبين هذا التفرد عقب كل حديث من الحديث الأول حديث أبي موسى في متن «أمتي أمة مرحومة...» إلى حديث (٩٤٨١) حديث عدي بن حاتم في متن «الصدقة»، وقد ظهر في هذا الكتاب سعة روايته وكثرة اطلاعه على طرق الحديث وتمييز الطرق التي اشترك فيها عدد من الرواة عن هذا الراوي عن الطرق التي انفرد بها بعض الرواة عن بعض وهذا الأمر لا ينقاد إلا الإمام جهبذ هذا الفن الدقيق الواسع، وقد تعب كثير في إخراج هذا الكتاب على هذه الطريقة لذلك كان يقول: «هذا الكتاب روحي». اهـ.

٤- وعلة هذا الحديث الذي جاءت به القصة هو عيسى بن سوادة أبو الصباح النخعي، ولقد أثبتنا تفرده، وهذا مهم في التحقيق حيث لم يرو هذا الحديث عن إسماعيل إلا عيسى؛ فالشهرة عنه لا تصلح لتقوية الحديث؛ لأنها دونه وبسبب عدم فهم هذه القاعدة زلت أقدام وضلت أفهام.

٥- بيان أقوال علماء الجرح والتعديل في عيسى بن سوادة:

أ- قال الإمام الحافظ عبد الرحمن بن الإمام الكبير أبي حاتم في «الجرح والتعديل» (٦/٢٧٧/١٥٣٩): عيسى بن سوادة بن الجعد النخعي كوفي سكن الري روى عن إسماعيل بن خالد وآخرين، وروى عنه علي بن سعيد الكندي وآخرون، قال ابن أبي حاتم: سألت أبي عنه فقال: «هو منكر الحديث ضعيف، روى عن إسماعيل بن أبي خالد، عن زاذان، عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم حديثًا منكرًا».

ب- قلت: هذا قول فصل من الإمام الحافظ ابن أبي حاتم في «الجرح والتعديل» في عيسى بن سوادة بن الجعدي النخعي وبيان من روى عنه عيسى بن سوادة ومنهم إسماعيل بن أبي خالد كذلك وبيان الذين رووا عن عيسى بن سوادة ومنهم علي بن سعيد الكندي.

وبمقارنة هذا بالسند الذي جاءت به هذه القصة نجده ينطبق عليه تمام الانطباق حيث جاء من طريق علي بن سعيد بن مسروق الكندي عن عيسى بن سوادة، عن إسماعيل بن أبي خالد به.

جـ- قول الإمام أبي حاتم: «هو منكر الحديث ضعيف، روى عن إسماعيل بن أبي خالد عن زاذان عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم حديثًا منكرًا». اهـ. يشير إلى حديث القصة حيث جاء من طريق عيسى بن سوادة عن إسماعيل بن أبي خالد عن زاذان عن ابن عباس على النبي صلى الله عليه وسلم، كما بينا آنفًا من التخريج عند الأئمة الحاكم، والبيهقي، والطبراني.

د- هذا البيان حتى لا يحدث خلط بين: «عيسى بن سوادة بن الجعدي النخعي»، علة هذا الخبر الذي جاء به هذه القصة الواهية بين «عيسى بن سوادة»، ولأهمية هذا البيان وكشف هذا الخلط ردَّ الحافظ ابن حجر في «اللسان» (٤/٤٥٩) (٦٤١٩/٢٠٦٨) في ترجمة «عيسي بن سوادة» على من جعل خبر هذه القصة من روايته، واستشهد بتخريج الحاكم له من أنه من رواية عيسى بن سوادة، فقال: «رأيته في نسخة عتيقة من المستدرك رواه الحاكم عن أبي علي الحافظ عن محمد بن الحسين الخثعمي، عن علي بن سعيد عن عيسى بن سوادة، فالظاهر أنه النخعي». اهـ.

قلتُ: ولقد بدأنا التخريج برواية الحاكم ثم تلميذه البيهقي ثم الطبراني في المعجمين، هذا في «التخريج»، وكذلك بيناه في التحقيق تأكيدًا بأقوال الإمام الحافظ ابن أبي حاتم، فتقرر من أقوال هؤلاء الأئمة أن علة هذه القصة هو عيسى بن سوادة بن الجعد النخعي، وهو منكر الحديث ضعيف، وكذلك الخبر الذي جاءت به القصة؛ منكر.

هـ - قال الإمام الحافظ الخطيب البغدادي في «تاريخ بغداد» (١١/١٥٦/٥٨٤٨): أنبأنا أحمد بن محمد بن عبد الله الكاتب، أخبرنا محمد بن حميد المخرمي، حدثنا ابن حبان، قال: وجدت في كتاب أبي بخط يده قال أبو زكريا يحيى بن معين: عيسى بن سوادة كان هاهنا سمعت منه ببغداد، ليس حديثه بشيء، وقال في موضع آخر: ابن سوادة كان هاهنا يحدث عن إسماعيل وعن هؤلاء كان كذابًا قد رأيته وكتبت عنه». اهـ.

٦ - قلت: وقول الإمام الحافظ أبي زكريا يحيى بن معين المتوفى (٢٣٣هـ) في عيسى بن سوادة «كان كذابًا قد رأيته»، نقله الإمام الحافظ أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي المتوفى سنة (٧٤٨هـ) في «الميزان» (٣/٥١٢/٦٥٦٩): «عيسى بن سوادة النخعي، قال ابن معين: كذاب، رأيته». اهـ. وأقر هذا القول الإمام الذهبي.

و- وأقر أيضًا الحافظ ابن حجر في «اللسان» (٤/٤٥٩) (٢٠٦٧/٦٤١٨) قول الإمام الحافظ يحيى بن معين: أن عيسى بن سوادة النخعي: «كذاب رأيته». اهـ.

وكذلك نقل كلام الإمام أبي حاتم: «عيسى بن سوادة النخعي: منكر الحديث ضعيف، روى عن إسماعيل بن أبي خالد، عن زاذان، عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم حديثًا منكرًا». اهـ. وأقره.

رابعاً: الاستنتاج:

نستنتج من هذا التحقيق: أن هذه القصة واهية، وعلتها عيسى بن سوادة النخعي كذاب.

وقال الإمام السيوطي في «التدريب» (١/٢٧٤) النوع (٢١): الموضوع: هو الكذب المختلَق المصنوع، وهو شرّ الضعيف وأقبحه، وتحرم روايته مع العلم بوضعه، في أي معنى كان سواء الأحكام والقصص والترغيب وغيرها إلا مقرونًا ببيان وضعه». اهـ.

بهذا يتبين أن الخبر الذي جاءت له هذه القصة «موضوع» بتطبيق التحقيق على علم أصول الحديث. ولقد ذكرنا حد الموضوع ورتبته وحكم روايته.

خامساً: الاغترار بتصحيح الحاكم:

قد يغتر من لا دراية له بالصناعة الحديثية بقول الحاكم في «المستدرك» (١/٤٦٠) بعقب إخراجه للحديث الذي جاءت به هذه القصة: «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه». اهـ.

قلتُ: لقد عقب الإمام الذهبي في «التلخيص» فقال: «ليس بصحيح أخشى أن يكون كذبًا، وعيسى قال أبو حاتم منكر الحديث». اهـ.

قلتُ: بل عيسى كذاب.

سادساً: الاغترار بتخريج ابن خزيمة:

قد يغتر أيضًا من لا دراية له بالصناعة الحديثية بأن الإمام أبو بكر ابن خزيمة أخرجه في «صحيحه» فيتوهم أنه صحيح.

قلتُ: دفعًا لهذا التوهم فالحديث الذي جاءت به هذه القصة الواهية قد أخرجه الإمام أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة المتوفى سنة (٣١١هـ) في «صحيحه» (٤/٢٤٤) (ح٢٧٩١) قال: حدثنا علي بن سعيد بن مسروق الكندي، حدثنا عيسى بن سوادة، عن إسماعيل بن أبي خالد عن زاذان عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم فذكره.

ولكن الإمام ابن خزيمة بعد أن أخرجه قال: «إن صح الخبر، فإن في القلب من عيسى بن سوادة شيئًا». اهـ.

قلت: حقًّا ما قاله الإمام ابن خزيمة بل في القلب أشياء، فحسبك قول الإمام الحافظ يحيى بن معين في عيسى بن سوادة. «كان كذابًا قد رأيته». اهـ.

سابعا: طريق آخر واه للقصة:

١- أخرج الحافظ أبو الوليد محمد بن عبد الله بن أحمد بن محمد ابن الأزرق المعروف بالأزرقي المتوفى سنة (٢٥٠هـ) في «أخبار مكة» (٧/٢) (ط. دار الثقافة مكة المكرمة)، قال: حدثني ابن أبي عمر، حدثني إسماعيل بن إبراهيم الصايغ قال: حدثني هارون بن كعب بن زيد الحواري، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس: أنه جمع بنيه عند موته فقال: يا بني لست آسي على شيء كما آسي أن لا أكون حججتُ ماشيًا فحجوا مشاةً.

قالوا: ومن أين؟

قال: من مكة حتى ترجعوا إليها، فإنَّ للراكب بكل قدم سبعين حسنة، وللماشي بكل قدم سبعمائة حسنة من حسنات الحرم.

قالوا: وما حسنات الحرم؟

قال: الحسنة بمائة ألف حسنة».

٢- التحقيق:

أ- هذا الخبر الذي جاءت به القصة مضاف إلى ابن عباس رضي الله عنهما ولم يرفع إلى النبيّ صلى الله عليه وسلم، فالحديث موقوف.

ب- ومن بدائع الفوائد أن هذا الخبر الذي جاءت فيه القصة: «موقوف لفظًا، مرفوع حكمًا».

قال الحافظ ابن حجر في «النخبة» (ص٥٢- شرح النخبة) (ط. المكتبة العلمية بالمدينة المنورة): «الإسناد إما أن ينتهي إلى النبي صلى الله عليه وسلم تصريحًا أو حكمًا». اهـ.

وهذا ينطبق تمام الانطباق على الطريق الأول؛ حيث قال ابن عباس: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من حج من مكة ماشيًا...» الحديث الذي رواه عيسى بن سوادة الكذاب كما بينا آنفًا. أما هذا الطريق فهو موقوف لفظًا مرفوع حكمًا.

قلت: وهذا الخبر الذي جاءت به هذه القصة من هذا الطريق تنطبق عليه هذه القاعدة تمام الانطباق لتحقق شرطين:

الشرط الأول: الصحابي لم يأخذ عن الإسرائيليات ولم يعرف عنه ذلك.

الشرط الثاني: الحديث إخبار عما يحدث بفعله ثواب مخصوص.

أما الصحابي فهو الصحابي الجليل عبد الله بن عباس رضي الله عنهما لم يأخذ عن الإسرائيليات كما افترى عليه المستشرقون وأتباعهم الذين لا دراية لهم بالحديث، «كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا».

فقد أخرج الإمام البخاري في «صحيحه» (ح٧٣٦٣) كتاب «الاعتصام بالكتاب والسنة» قال: حدثنا موسى بن إسماعيل حدثنا إبراهيم أخبرنا ابن شهاب عن عبيد الله بن عبد الله أن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «كيف تسألون أهل الكتاب عن شيء؟ وكتابكم الذي أنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم أحدث تقرؤونه محضًا لم يشب وقد حدثكم أن أهل الكتاب بدّلوا كتاب الله وغيره وكتبوا بأيديهم الكتاب وقالوا من عند الله ليشتروا به ثمنًا قليلاً، ألا ينهاكم ما جاءكم من العلم عن مسألتهم؟ لا والله ما رأينا منهم رجلاً يسألكم عن الذي أنزل عليكم».

هذا ما وفقني الله إليه وهو وحده من وراء القصد.

قرائن اللغة والنقل والعقل على حمل صفات الله (الخبرية) و(الفعلية) على ظاهرها دون المجاز

الحلقة (٤٧)

قرائن النقل على إثبات صفات (النزول) و(الإتيان) و(المجيء) لله

إعداد د. محمد عبد العليم الدسوقي
الأستاذ بجامعة الأزهر

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه.. وبعد:

فلقد تواترت الأحاديث في ذكر (نزول الله تعالى إلى سماء الدنيا) بما تقام به الحجة على منكريه، ونذكر من صحيحها:

أ- من صريح أدلة أهل السنة على إثبات صفة النزول لله على الوجه اللائق به، خلافاً للذين تأولوها من الأشاعرة بنزول رحمته وأمره ما رواه البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة قال صلى الله عليه وسلم: (ينزل ربنا كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر، يقول: من يدعوني فأستجيب له؟، من يسألني فأعطيه؟، من يستغفرني فأغفر له؟).

وما رواه مسلم عنه وفيه قوله عليه السلام: (ينزل الله إلى السماء الدنيا كل ليلة حين يمضي ثلث الليل الأول، فيقول: أنا الملك، أنا الملك، من ذا الذي يدعوني فأستجيب له؟، من ذا الذي يسألني فأعطيه؟، من ذا الذي يستغفرني فأغفر له؟، فلا يزال كذلك حتى يضيء الفجر)، وهو وبنحوه بمسلم في (باب الترغيب في الدعاء والذكر في آخر الليل والإجابة فيه).

وما أخرجه مسلم بنفس الباب من حديث أبي هريرة وأبي سعيد معاً بلفظ: (إن الله يُمهل حتى إذا ذهب ثلث الليل، نزل إلى السماء الدنيا فيقول: هل من مستغفر؟، هل من تائب؟، هل من سائل هل من داع؟، حتى ينفجر الفجر)، وقد أخرج أحاديث النزول من غير الشيخين بألفاظ متقاربة: أحمد وابن خزيمة والنسائي وأبو داود والذهبي في العلو وهو في مختصره بأرقام (٥١، ٦٩، ٧٨)، وغيرهم.

والحق أن أحاديث (النزول في الجزء الأخير من الليل)، قد رواها أكثر من اثني عشر صحابياً، هم: ابن عباس، وابن مسعود، وعليّ، وجبير بن مطعم، وجابر، وأبو هريرة، وعمرو بن عبسة، ورفاعة الجهني، وعبادة بن الصامت، وأبو سعيد الخدري، وعثمان بن أبي العاص، وأبو الدرداء، وسلمة جد عبد الحميد بن يزيد، وأبو الخطاب، وعمر بن عامر السلمي.. كما روى أحاديث نزوله تعالى يوم القيامة لأهل الجنة ولفصل القضاء: أبو هريرة، وابن مسعود، وأنس، وحذيفة، ولقيط بن عامر، والخدري، وأسماء بنت يزيد، وثوبان.. وروى أحاديث نزوله يوم عرفة: ابن عمر، وجابر، وكذا أم سلمة بإسناد حسن.. وروى أحاديث (النزول في نصف شعبان) أبو بكر، ومعاذ، وأبو ثعلبة الخشني، وكثير بن مرة الحضرمي، وعائشة، وأبو موسى الأشعري، وأبو أمامة، وعوف بن مالك، وبعضها وإن كان فيه ضعف، إلا أن الأمر كما قال الألباني: «وإنما صححتُ الحديث لأنه روي عن جمع من الصحابة بلغ عددهم ثمانية، خَرّجتُ أحاديثهم في الصحيحة (١١٤٤)».

وكان الدارقطني قد جمع هذه الطرق في (كتاب النزول) الذي ضمنه ستة وتسعين حديثاً وأثراً، وقام بتخريجها غير واحد.. كما ساقها من قبل: ابن خزيمة في (كتاب

التوحيد)، وجمعها من بعدُ وخرّجها: الموصلي في مختصر الصواعق المرسلة.

الأمر الذي يؤكد أن أحاديث النزول قد تضافرت على نحو يحيل نفي هذه الصفة عن الله، حيث بلغ عدد من رووها من الصحابة نحواً من ثمانية وعشرين صحابياً، «وهذا -على حد عبارة مختصر الصواعق ص٤٥٦- يدل على أنه عليه السلام كان يُبَلّغه في كل موطن ومجمع، فكيف تكون حقيقته محالاً وباطلاً، وهو عليه السلام يتكلم بها دائماً ويعيدها ويبديها مرة بعد مرة، ولا يُقرن باللفظ ما يدل على مجازه بوجه ما، بل يأتي بما يدل على إرادة الحقيقة؟!».

وفي محصلة ما بُدل في إثبات صفة نزوله تعالى يقول ابن قزار الجاسم في مقدمة حديثه عن نزوله تعالى بكتابه (الأشاعرة في ميزان أهل السنة): «اتفق أهل السنة والجماعة على إثبات صفة النزول لله، وأنه ينزل متى شاء كيف شاء، نزولاً يليق بجلاله، لا يشبه نزول المخلوق، وأن نزوله صفة فعل له سبحانه، وقد تواترت الأخبار عن النبي في ذكر نزول الله إلى سماء الدنيا، ورواه نحو: ثمانية وعشرين نفساً من الصحابة، وأفرد فيها العلماء مؤلفات مستقلة، وجمعوا طرق أحاديثها، منهم: الدارقطني، والصابوني، وابن تيمية، والذهبي وغيرهم، ولم يَخْلُ مصنّفٌ في السنة من تبويب إثبات صفة النزول لله، كالسنة: لابن أبي عاصم، ولعبد الله بن الإمام أحمد، والتوحيد لابن خزيمة، وكتب الرد على الجهمية: للدارمي، وابن منده، وابن أبي حاتم، وغيرها كثير» ا.هـ.

ب- أوجه الدلالة في حمل نزوله تعالى على حقيقته دون المجاز ورد مزاعم من تأولها:

ويلاحظ في أحاديث النزول السالفة الذكر خمسة ألفاظ تنفي وتحيل المجاز وتثبت وتؤكد الحقيقة، وتمثل أوجه الدلالة لحمل صفة النزول على ظاهرها:

١- نسبة النزول إليه سبحانه (ينزل الله).

٢- نسبة القول إليه (فيقول).

٣- وصفه لنفسه بقوله: (أنا الملك) ولا ينسحب هذا إلا عليه تبارك وتعالى.

٤- أمره العباد بما لا يجوز إلا له: (من ذا يدعوني؟، يسألني؟، يستغفرني؟).

٥- ذكر أفعاله التي ليست لأحد سواه: (فأستجيب له، فأعطيه، فأغفر له).

٦- ناهيك عما «صرح به نعيم بن حماد وجماعة من أصحاب الحديث، آخرهم ابن الجوزي، أنه سبحانه ينزل إلى سماء الدنيا بذاته»؛ كذا في مختصر الصواعق ص٤٥٦.

٧- وعن التصريح في بعض روايات الحديث بأنه تعالى هو السائل لا غيره: من نحو رواية رفاعة الجهني، وفيها قوله عليه السلام: (إذا مضى من الليل نصفه، أو ثلثاه، هبط الله إلى السماء الدنيا، ثم يقول: لا أسأل عن عبادي غيري، من ذا الذي يستغفرني أغفر له؟، من ذا الذي يدعوني أستجب له؟، من ذا الذي يسألني أعطيه؟، حتى يطلع الفجر)، رواه أحمد والنسائي والدارمي وغيرهم.

جـ- من قرائن النقل على إثبات صفتي المجيء والإتيان لله على الوجه اللائق به، خلافاً للذين تأولوهما من الأشاعرة بـ (إتيان ثوابه وحسابه وعذابه):

هذا، ولا يستطيع عاقل أن يتجاهل ما جاء من النصوص المثبتة لمجيئه تعالى وإتيانه على الوجه اللائق به دون ما تكييف أو تشبيه أو تجسيم أو تأويل أو تفويض، في نحو قوله تعالى: (هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ) (البقرة/٢١٠)، وقوله: (هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِىَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِىَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ ۗ يَوْمَ يَأْتِى بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا ۗ) (الأنعام/١٥٨)، وقوله: (وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا) (الفجر/٢٢).

وحسبك منها ما لوحظ من تفريقه سبحانه في جملة هذه الآيات بين إتيان الملائكة، وإتيان نفسه، وإتيان أمره، وإتيان آياته، مع ما هو معلوم من أن العطف يقتضي المغايرة وأن إتيان

كلٌ إنما يكون بحسبه.. وسيأتي من الأحاديث ونصوص أهل السنة على إثبات صفتي الإتيان والمجيء لله ما به تقام الحجة.

ونكتفي هنا في رد شبهات من تأولهما، بذكر ما جاء في آية البقرة من كلام الطبري إمام المفسرين، فقد نصّ -بعد أن ذكر الخلاف في إعراب (الملائكة)، ورجح قراءة (في ظلل) على قراءة (في ظلال)- على أن «الواجب في كل ما اتفقت معانيه واختلفت في قراءته القُرّاء، ولم يكن على إحدى القراءتين دلالة تنفصل بها من الأخرى غير اختلاف خط المصحف: أن تؤثر قراءته منها ما وافق رسم المصحف، وأما الذي هو أولى القراءتين في: (والملائكة)، فالصواب بالرفع عطفاً بها على اسم الله، على معنى: (هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام، وإلا أن تأتيهم الملائكة)، على ما رُوي عن أبي بن كعب؛ لأن الله قد أخبر في غير موضع من كتابه أن الملائكة تأتيهم، فقال: (وجاء ربك والملك صفاً صفاً.. الفجر/٢٢)، وقال: (هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة أو يأتي ربك أو يأتي بعض آيات ربك.. الأنعام/١٥٨)».

قال ابن جرير: «ثم اختلف أهل التأويل في قوله: (ظلل من الغمام)، وهل هو من صلة فعل (الله) أو من صلة فعل (الملائكة)؟ ومَن الذي يأتي فيها؟؛ فقال بعضهم: هو من صلة فعل الله، ومعناه: (هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام، وأن تأتيهم الملائكة)، ذكر من قال ذلك: حدثني محمد بن عمرو.. عن مجاهد قال: (هو غير السحاب، لم يكن إلا لبني إسرائيل في تيههم حين تاهوا، وهو: الذي يأتي الله فيه يوم القيامة)..

وقال آخرون: (بل من صلة فعل الملائكة، وأما الرب فإنه يأتي فيما شاء).. وأولى التأويلين بالصواب في ذلك: تأويل مَن وجّه قوله: (في ظلل من الغمام) إلى أنه من صلة فعل الرب.. لما حدثنا به محمد بن حميد، عن ابن عباس، أن النبي قال: (إن من الغمام طاقات يأتي الله فيها محفوفاً)، وذلك قوله: (هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة وقضي الأمر)».

قال: «ثم اختُلف في صفة إتيان الرب الذي ذكره في قوله: (هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله)، فقال بعضهم: (لا صفة لذلك غير الذي وصف به نفسه من المجيء والإتيان والنزول، وغير جائز تكلُّف القول في ذلك لأحد إلا بخبر من الله أو من رسول مرسل، فأما القول في صفات الله وأسمائه، فغير جائز لأحد من جهة الاستخراج إلا بما ذكرنا».

وفي سرد ما شذ من الأقوال يقول الطبري: «وقال آخرون: إتيانه تعالى نظير ما يعرف من مجيء الجائي من موضع إلى موضع، وانتقاله من مكان إلى مكان.. وقال آخرون: معنى قوله: (هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله) يعني به: هل ينظرون إلا أن يأتيهم أمر الله، كما يقال: قد خشينا أن يأتينا بنو أمية، أي: حكمهم.. وقال آخرون: بل معنى ذلك: هل ينظرون إلا أن يأتيهم ثوابه وحسابه وعذابه، كما يقال: قطع الوالي اللص أو ضربه، وإنما قطعه أعوانه».. قال أبو جعفر في رد كل هذا: «وقد بينا معنى (الغمام) فيما مضى من كتابنا هذا قبل»، يقصد ما سبق أن ذكره في آية: (وظللنا عليهم الغمام.. البقرة/٥٧) من أنها تعني في لغة العرب: «ما غم السماء فألبسها، من سحاب وقتام وغير ذلك مما يسترها عن أعين الناظرين».. وقال تعقيباً على ما نحن بصدده: «إن معناه هاهنا هو معناه هنالك، وعليه فمعنى الكلام إذاً: (هل ينظر التاركون الدخول في السلم كافة والمتبعون خطوات الشيطان، إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام، فيقضي في أمرهم ما هو قاض» ا.هـ.

كما نكتفي بما جاء في قوله تعالى (ويوم تشقق السماء بالغمام ونزل الملائكة تنزيلاً.. الفرقان/٢٥)، يقول الحافظ ابن كثير: «يخبر تعالى عن هول يوم القيامة وما يكون فيه من الأمور العظيمة، فمنها انشقاق السماء وتفطرها وانفراجها بالغمام، وهو ظلل النور العظيم الذي يبهر الأبصار.. ونزول ملائكة

السماوات يومئذ، فيحيطون بالخلائق في مقام المحشر، ثم يجئ الرب لفصل القضاء، قال مجاهد: وهذا كما قال: (هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة) (البقرة: ٢١٠).

وقد أورد ابن كثير عقب هذا، أثر ابن عباس الذي قال فيه -بعد أن قرأ آية الفرقان-: «يجمع الله الخلق يوم القيامة في صعيد واحد، الجن والإنس والبهائم والسباع والطير وجميع الخلق، فتنشق السماء الدنيا فينزل أهلها، وهم أكثر من الجن والإنس ومن جميع الخلائق، فيحيطون بالجن والإنس وبجميع الخلائق، ثم تنشق السماء الثانية فيحيطون بالملائكة الذين نزلوا قبلهم وبالجن والإنس وبجميع الخلائق، وهم أكثر من أهل السماء الدنيا ومن جميع الخلق..

ثم كذلك كل سماء على ذلك التضعيف حتى تنشق السماء السابعة، فينزل أهلها وهم أكثر ممن نزل قبلهم من أهل السماوات ومن الجن والإنس ومن جميع الخلق، فيحيطون بالملائكة الذين نزلوا قبلهم من أهل السماوات وبالجن والإنس وجميع الخلق، وينزل ربنا في ظلل من الغمام وحوله الكروبيون وهم أكثر من أهل السماوات السبع ومن الجن والإنس وجميع الخلق.. لهم زجل بالتسبيح والتهليل والتقديس لله»، إلى آخر ما جاء في رواية ابن أبي حاتم.

وبقوله في تفسير: (وجاء ربك والملك صفاً صفاً.. الفجر/٢٢): «(وجاء ربك) يعني: لفصل القضاء بين خلقه، وذلك بعد ما يستشفعون إليه بمحمد سيد ولد آدم، بعدما يسألون أولي العزم من الرسل واحداً بعد واحد، فكلهم يقول: لست بصاحب ذاكم، حتى تنتهي النوبة إليه عليه السلام فيقول: (أنا لها، أنا لها)، فيذهب فيشفع عند الله في أن يأتي لفصل القضاء، فيشفعه الله في ذلك، وهي أول الشفاعات وهي المقام المحمود، فيجيء الرب لفصل القضاء كما يشاء، والملائكة يجيئون بين يديه صفوفاً صفوفاً.» ا.هـ.

د- الأشاعرة يخالفون صريح الآيات والأحاديث المثبتة لنزوله تعالى ومجيئه وإتيانه:

ويفاد من كل ذلك أن القول بحمل المجيء والإتيان على المجاز: بـ(مجيء أمره وإتيان حسابه) -يعني: على تقدير حذف مضاف على ما ادعاه الأشاعرة تبعاً للمعتزلة والجهمية - قول غير صحيح، وينقضه أن ليس في اللفظ ما يقتضيه أو يدل عليه، وأنه إذا لم يكن في اللفظ دليل على تعيين هذا المحذوف كان تعيينه قولاً على المتكلم بغير علم، ولعل هذا هو ما حدا بالمتأولة لأن يتخبطوا في تقدير المحذوف، فمن ذاهب إلى أن التقدير: (وجاء أمر ربك)، مع أن أمره تعالى، هو: كلامه وهو حقيقة ويجيء في كل وقت.. ومن قائل: إنها على تقدير (وجاء ملك ربك)، وأي عاقل لا يستطيع أن يفهم أن يتم مع هذا عطف (والملك صفاً صفاً)، فضلاً عن أن في هذا ما فيه من التلبيس والتحريف ورفع الوثوق بكلام المتكلم..

بل إن استدلالهم فيما جنحوا إليه بقول الله تعالى: (هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة أو يأتي أمر ربك.. النحل/٣٣)، استدلال في غير موضعه ويَرِد عليه فضلاً عما ذكرنا، اختلاف السياق الذي في شأنه يقول صاحب (معارج القبول) ٢٩٢/١ متسائلاً:

«أليس قد اتضح.. أن مجيء ربنا غير مجيء أمره وملائكته، وأنه يجيء حقيقة، ومجيء أمره حقيقة، ومجيء ملائكته حقيقة، وقد فصَل تعالى ذلك وقسّمه ونوّعه تنويعاً يمتنع معه الحمل على المجاز، فذكر في آية البقرة مجيئه ومجيء ملائكته وكذا في آية الفجر، وذكر في آية الأنعام إتيانه وإتيان ملائكته وإتيان بعض آياته التي هي من أمره؟!.. ثم يقال: ما الذي يخص إتيان أمره بيوم القيامة؟! أليس أمره آتياً في كل وقت، متنزَلاً بين السماء والأرض بتدبير أمور خلقه في كل لحظة (يَسْئَلُهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ) (الرحمن/٢٩)؟».. فهل للأشاعرة من جواب؟..

وإلى لقاء آخر.. والحمد لله رب العالمين.

فن التعامل مع الزوجة

الحلقة الثانية

إعداد د. ياسر لمعي عبد المنعم
أستاذ الدعوة والثقافة الإسلامية
بجامعة التضامن الفرنسية العربية

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

قد يُبتلى المرء بزوجة غير مرغوب فيها؛ لأنها ذات طباع صعبة وحالات سلوكية حرجة، وسأذكر من هذه الطباع طرفًا يسيرًا.

عن بعض الطرق الفعالة للتعامل مع الزوجة العصبية.

تؤثر العصبية علينا من وقت لآخر، وعندما يكون الشخص المتأثر هو الزوجة فقد يصبح من الصعب معرفة ما العمل للتخلص من هذه الحالة، ولحسن الحظ فهناك عدة طرق فعالة لمعالجة مزاجية الزوجة.

النصائح:

امنح زوجتك مساحة من المودة أكثر قليلًا من الوضع الطبيعي، وقد يبدو ذلك أمرًا صعبًا، خصوصًا بعد نوبة من الصراخ أو رمي الصحون، لكن قد يكون للقليل من الحب أثر كبير في تلطيف الأوضاع وتحسينها، وانظر إلى سلوك النبي صلى الله عليه وسلم حينما كسرت إحدى نسائه صحفة ضُرتها، فأخذ الرسول صلى الله عليه وسلم يجمع كسور الصحفة ويقول: «كلوا؛ غارت أمكم».

فكر في عمل شيء بسيط واجعله خاصًا؛ مثل شراء النوع المفضل لديها من الشوكولاته، أو المجلات، أو أي شيء تعتبره مميزًا، مثل: تحضير العشاء، أو ترتيب المنزل، إن التخفيف عنها سيجعلها تشعر باهتمامك وستزول مشاعرها السلبية، ولا غرابة فقد كان ذلك سلوك سيد البشر صلى الله عليه وسلم، فقد كان في بيته في مهنة أهله.

أخبرها بأنك مستعدٌ وراغب في الدردشة معها، وامنحها بعض الوقت لتعبر عن مشاعرها وعواطفها؛ لتأتي إليك مستعدّة. أحيانًا تشعر الزوجة بالحاجة للبقاء وحدها لكن رغم ذلك إذا أخبرتها برغبتك في مساعدتها فستشعر بالأمان. وقد تكون زوجتك -في أيام أخرى- بحاجة إلى كتف للبكاء عليه، وعليك ساعتها أن تبعد الأطفال عنها، إذا كان لديكم أطفال فقد يكون سبب توترها ومزاجها الحاد الالتزام مع الأطفال بشكل دائم روتيني، فقم بأخذ أطفالك بعيدًا عن البيت لفترة ما لتناول المثلجات أو للعب، لتمنح الأم فرصة للراحة في المنزل أو في أي مكان تفضله مع صديقاتها.

ضع نفسك مكانها، محاولًا أن تشعر بمشاعرها وتتفادى قول نكات أو تعليقات جارحة، لا تخبرها بأنّ مشاعرها غبية أو سطحية، أو بأنها كاذبة أو بأنك إذا كنت مكانها فلن تتذمر! لأنك لست مكانها ولن تتمكن من الإحساس بمشاعرها؛ فالوقت القصير الذي تمضيه برفقة الأطفال، أو في المنزل لا يعادل الوقت الطويل والجهد الذي تبذله هي، ثم تصرّف بهدوء وفكر هل تستطيع هي أن تقوم بعملك دون تَذَمُّرٍ؟

أخبرها بأنك آسف، فلا ضير من أن تخبرها بأنك آسف عندما تخطئ في حقها. فكلمة آسف قد تمحو الكثير من المشكلات خصوصًا أن المرأة بطبيعتها تتقبل الصلح مهما تكن عصبية المزاج.

- أيضًا من فن التعامل:

التزين والتجمل والتطيب للزوجة:

أما الجمال والزينة للرجل فبحدودها الشرعية فلا إسبال، ولا وضع للمساحيق والأصباغ، كما يفعل بعض شبابنا، ولا الذهاب لأماكن التجميل. (من محاضرات د/إبراهيم الدويش، فن التعامل مع الزوجة).

سُئلَتْ عائشة: «بأي شيء كان يبدأ النبي صلى الله عليه وسلم إذا دخل بيته؟ قالت: بالسواك» (مسلم ٣٧٧). وقد ذكر بعض أهل العلم فائدة ونكتة علمية دقيقة، قالوا: فَلَعَلَّ النبي صلى الله عليه وسلم كان يفعل ذلك ليستقبل زوجاته بالتقبيل.

وعن عائشة قالت: «كنت أُطَيِّبُ النبي صلى الله عليه وسلم بأطيب ما أجد حتى أجد وبيص الطيب في رأسه ولحيته» صحيح البخاري، حديث رقم (٥٥٧٩)

وفي البخاري-أيضًا-أن عائشة قالت: «كنت أُرَجِّل رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا حائض» المصنف لأبي شيبة، حديث رقم(٢١٣).

وفي حديث أبي هريرة، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «خمس من الفطرة: الختان، والاستحداد، ونتف الإبط، وتقليم الأظافر، وقص الشارب» صحيح مسلم، حديث رقم (٢٥٧).

في هذه الأحاديث كلها وغيرها بيان ما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم من التجمل والتزين الشرعي الذي يحبه الله ويرتضيه.

هذا بخلاف ما عليه بعض الرجال اليوم من إفراطهم في قضية الزينة والتجمل ومبالغتهم في ذلك كثيرًا.

ومن عجيب المتناقضات التي يعيشها بعض الرجال: أنك تجده يحلق لحيته للتجمل والزينة كما يزعم، ثم تشم منه رائحة كريهة عفنة هي رائحة التدخين، فأين أنت والتجمل أيها الأخ الجميل؟ أين أنت والتجمل الذي تريده يوم أن شربت الدخان؟!

ونجد آخر قد وقع في تفريط وتقصير عظيمين عجيبين في قضية التجمل والزينة؛ حيث نراه قد تبذل في لباسه وأهمل شعره، وترك أظافره والشارب، وغدا ذا رائحة كريهة، في حين أن الخير كل الخير في امتثال المنهج النبوي في التجمل والتزين، والاهتمام بالمظهر؛ لأنه حق شرعي للمرأة، وسبب قوي في كسب قلبها وحبها.

فالنفس جُبلَتْ على حب الأفضل، والأنظف، والأجمل، وتعالَ وادرس حال السلف-رضوان الله تعالى عليهم جميعًا- لترى كيف كانوا في هذا الباب.

وقد ذكر الدكتور إبراهيم الدويش في محاضرته فن التعامل مع الزوجة أن ابن عباس قال: إني لأتزين لامرأتي كما تتزين لي، وما أحب أن أستنفد كل حقي الذي لي عليها فتستوجب حقها الذي لها عليَّ؛ لأن الله تعالى يقول: «وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ» (البقرة: ٢٢٨).

وقد دخل على الخليفة عمر زوج أشعث أغبر ومعه امرأته وهي تقول: لا أنا ولا هذا.. لا تريده، لا أنا ولا هذا..، ما هو السبب؟

لقد فطن عمر لما تكرهه المرأة من زوجها، فأرسل الزوج ليستحم، ويأخذ من شعر رأسه، ويقلم أظافره، فلما حضر أمره أن يتقدم من زوجته فاستغربته، ونفرت منه، ثم عرفته فقبلته ورجعت عن دعواها!.

تراجعت-إذن- عن طلب الطلاق فقال عمر: هكذا.. فاصنعوا لهن فوالله إنهن ليحببن أن تتزينوا لهن كما تحبون أن يتزين لكم.

«وقال يحيى بن عبد الرحمن الحنظلي: أتيت محمد بن الحنفية فخرج إليَّ في ملحفة حمراء ولحيته تقطر من الغالية، والغالية هي خليط الطيب بل خليط أفضل الطيب؛ يقول يحيى فقلت له: ما هذا؟ قال محمد: إن هذه الملحفة ألقتها علي امرأتي ودهنتني بالطيب، وإنهن يشتهين منا ما نشتهيه منهن». (فن التعامل مع الزوجة، د. إبراهيم الدويش).

إذن فالمرأة تريد منك الذي تريده أنت منها من التجمل والتزين.

ومن الفن-أيضًا- بل من أعظم وسائل السعادة

للبيت المسلم:

١- تعاون الزوجين على العبادات والنوافل والأذكار... ففي ذلك مرضاة لله، وفي ذلك إحياء للبيت وطرد لروتين الحياة الممل.

فما أحلى أن ترى زوجين صالحين يتعاونان على طاعة الله، فالدنيا متاع وخير متاعها الزوجة الصالحة.

ومثال ذلك ما رواه ابن عباس رضي الله عنهما عن أم المؤمنين جويرية بنت الحارث رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم خرج من عندها بكرة حين صلى الصبح وهي في مسجدها، ثم رجع بعد أن أضحى وهي جالسة فقال: «ما زلت على الحال التي فارقتك عليها؟» قالت: نعم. قال النبي صلى الله عليه وسلم: «لقد قلت بعدك أربع كلمات ثلاث مرات، لو وزنت بما قلت منذ اليوم لوزنتهن: سبحان الله وبحمده عدد خلقه، ورضا نفسه، وزنة عرشه، ومداد كلماته». صحيح مسلم، حديث (٥٣٠).

الشاهد... انظر حرص النبي صلى الله عليه وسلم على إرشاد وتعليم زوجاته.

وعن عائشة -أيضًا- قالت: «كان النبي صلى الله عليه وسلم يصلي وأنا راقدة معترضة على فراشه، فإذا أراد أن يوتر أيقظني فأوترت». صحيح ابن حبان، حديث رقم (٢٦٣٢).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «رحم الله رجلًا قام من الليل فصلى وأيقظ امرأته فصلت، فإن أبت نضح في وجهها الماء، ورحم الله امرأة قامت من الليل فصلت وأيقظت زوجها فإن أبى نضحت في وجهه الماء».

والقضية متبادلة؛ إن قصرت الزوجة فعلى الزوج أن يذكر ويعين، وإن فرط الزوج فعلى الزوجة أن تذكر وتعين، فكل منهما مطالب بتذكير الآخر، فنحن مطالبون بالتعاون بين الزوجين حتى في العبادات والنوافل، «وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ» (المائدة: ٢).

وعن أبي سعيد الخدري، وأبي هريرة رضي الله عنهما قالا: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من استيقظ من الليل وأيقظ امرأته وصليا ركعتين جميعًا كتبا من الذاكرين الله كثيرًا والذاكرات». صحيح ابن حبان، حديث رقم(٢٦٣٣).

إننا-كثيرًا- ما نغفل عن صلاة النافلة في البيت، في حين يحرص بعض الرجال على أن يصلي النافلة في المسجد، مع أن السنة أن تصلى النوافل والسنن الرواتب في البيت، ولذلك قال صلى الله عليه وسلم: «إن أفضل صلاة الرجل في بيته إلا المكتوبة». بلوغ المرام، حديث رقم (٤٣٢).

لماذا...؟؟

ليذكر الأهل ويشجعهم، وليربي أولاده وصغاره على هذه الأفعال، وما أجمل البيت حينما تغيب شمس يوم ما وقد استعد الزوجان فيه للجلوس لجلسة الإفطار معًا!

ما أحلى هذه الجلسة وما أسعد هذين الزوجين في التعاون على مثل هذه العبادات، وقل مثل ذلك في: قراءة القرآن، وفي حضور درس أو محاضرة أسبوعيًا، وفي القيام على الفقراء والمساكين في الحي، وغير ذلك من الأعمال الصالحة الخيرة، التي لو تعاون الزوجان عليها لكان ذلك عماد السعادة الزوجية، ولزاد من حلاوتها وروحها، ومن جرب هذا وجد حلاوة طعم هذه الحياة: «مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ» (النحل: ٩٧).

من الفن أيضًا:

الممازحة والمرح مع الأهل بالحق:

وفي حديث عائشة رضي الله عنها قالت: «زارتنا سودة يومًا».. زارتنا سودة يومًا تعني أم المؤمنين «فجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم بيني وبينها».. ضرتان «جلس النبي صلى الله عليه وسلم بيني وبينها إحدى رجليه في حجري والأخرى في حجرها، فعملت

لها حريرة أو قال خزيرة».

والخزيرة أو الحريرة: لحم مع دقيق مع ماء يخلط في بعضه، وهو نوع من أنواع الطعام، تقول عائشة: فعملت لها حريرة أو قال: خزيرة، فقلت: كلي أي لسودة، فأبت فقلت: لتأكلي أو لألطخن وجهك فأبت».

تقول عائشة: «فأخذت من القصعة شيئًا فلطخت به وجهها، فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم رجله من حجرها تستقيد مني». أي تأخذ حقها مني، «فأخذت من القصعة شيئًا فلطخت به وجهي ورسول الله صلى الله عليه وسلم يضحك. سنن النسائي الكبرى، حديث رقم(٢٩١).

ومن حديث عائشة رضي الله عنها: أنها كانت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر وهي جارية فقال لأصحابه: «تقدموا»، ثم قال: «تعالي أسابقك» فسابقته فسبقته، تقول: فَسَبَقْتُهُ على رجلي، فلما كان بعد أن خرجت معه في سفر فقال لأصحابه: «تقدموا». ثم قال: «تعالي أسابقك»، ونسيت الذي كان، وقد حملت اللحم فقلت: كيف أسابقك يا رسول الله وأنا على هذه الحال؟ فقال: «لتفعلن»، فسابقته فسبقني فقال: «هذه بتلك السبقة». رياض الأبدان، لأبي نعيم، حديث رقم(٤).

فينبغي للزوج المسلم أن ينمي في نفسه صفات الفكاهة والمرح مع زوجته لتقوية أواصر المحبة. ويروي علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه كان يمازح زوجه فدخل عليها في يوم من الأيام فوجد في فيها عود أراك فأراد أن يمازحها، فنظر إلى عود الأراك يخاطبه بهذين البيتين الجميلين (فن التعامل مع الزوجة، د.إبراهيم الدويش) قال:

لقد حظيت يا عود الأراك بثغرها

أما خشيت يا عود الأراك أراك

لو كنت من أهل القتال قتلتك

فما فاز مني يا سواك سواك

وهذا يبين حالهم التي كانوا عليها مع أزواجهم-رضوان الله تعالى عليهم- فلا بأس أن ينظم الزوج أوقاتًا خاصة للعب والمرح مع الزوجة، فهذه سنة فهي تضفي على الحياة الزوجية البهجة والسعادة، وتبدد الروتين البغيض الذي يتسرب إلى الحياة الزوجية.

-أيضًا- من الفن:- مراعاة شعورها ونفسيتها:

عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إني لأعلم إذا كنت عني راضية وإذا كنت علي غضبى»، قالت: فقلت: من أين تعرف ذلك؟ قال: «أما إذا كنت عني راضية فإنك تقولين لا ورب محمد، وإذا كنت غضبى قلت: لا ورب إبراهيم»، قالت: قلت: أجل والله يا رسول الله، ما أهجر إلا اسمك. صحيح مسلم، حديث رقم (٥٥).

ومن هذا الحديث يتبين لنا كيف كان صلى الله عليه وسلم بدقة ملاحظته ومراعاة شعور نفسية زوجه حتى عرف عنها هذا الأمر...

فإذا استقر الزوجان واستقرت حال كل منهما، عرف كل منهما ما يغضب الآخر وما يرضيه، وأسباب كل ذلك، ولتمكنا-بفضل الله- من توطيد أسس العلاقة الزوجية، والسير بها في الدروب الآمنة المفروشة بالورود والرياحين، ولأمكنهما-أيضًا- تجنيب الأسرة مسالك العسر، ومواضع الزلل والنكد.

وإنا نلحظ في هذا الحديث دقة عناية رسول الله صلى الله عليه وسلم بمشاعر عائشة رضي الله عنها حتى صار يعلم رضاها وغضبها عند مجرد حلفها، إذًا فمراعاة النفسيات أمر مهم لدوام المحبة، والزوج الذكي يحرص على تقدير نفسية زوجته فيغض الطرف، ولا يكثر العتاب، اللهم إلا في التجاوزات الشرعية التي لابد أن يأخذ فيها على يديها، أما ما عداها فالكمال عزيز، وبعض الخصال تكون جبلة في المرأة بحيث يصعب تغييرها فاصبر، واحتسب.

وللحديث بقية إن شاء الله، وصلِّ اللهم وسلم على سيدنا محمد.

غزوة بني قريظة (١)

إعداد: عبد الرزاق السيد عيد

الحمد لله وحده، نصر عبده، وأعز جنده، وهزم الأحزاب وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وعلى آله وصحبه، أما بعد:

فهذه وقفتنا الأولى مع غزوة بني قريظة والتي وقعت في شهر ذي القعدة من العام الخامس الهجري، وهي غزوة فاصلة لا شك في ذلك، فقد فصلت في يهود بني قريظة وطهرت الأرض من رجسهم- أقصد أرض المدينة النبوية المباركة، طهرت الأرض من خيانتهم ومؤمراتهم وموالاتهم للمشركين ودعمهم للمنافقين، وبالقضاء على بني قريظة تم القضاء التام على الوجود اليهودي عمومًا حول المدينة النبوية، وصارت المدينة خالصة للمسلمين، وخلت الجبهة الداخلية من عنصر خطير لديه القدرة على المؤامرة والكيد، واضمحل حلم قريش لأنها كانت تعوِّل وتؤمل في يهود أن يكون لهم موقف ضد المسلمين، وابتعد خطر اليهود الذي كان يمدُّ المنافقين بأسباب التحريض والقوة. اهـ من كتاب دراسات في عهد النبوة للشجاع ص١٥٣.

ونحن عندما نتحدث عن هذه الغزوة وما لها من أهمية خاصة لا بد لنا أن ندخل إليها من المحاور الآتية:

المحور الأول: اهتمام الوحي بهذه الغزوة وأسبابها:

مما لا شك فيه أن هذه الغزوة الوحيدة التي اهتم وحي السماء بتوقيتها وبيان أسباب حث النبي صلى الله عليه وسلم عليها والمسارعة إليها والمشاركة الفعلية فيها:

أ- ومن مظاهر اهتمام الوحي بهذه الغزوة ما جاء في الصحيحين: أن النبي صلى الله عليه وسلم لما رجع من الخندق ووضع سلاحه واغتسل، أتاه جبريل عليه السلام، فقال: قد وضعت السلاح؟ والله ما وضعناه فاخرج إليهم. قال: إلى أين؟ قال: إلى هاهنا، وأشار إلى بني قريظة، فخرج النبي صلى الله عليه وسلم ونادى في المسلمين: ألا لا يصلين أحد العصر إلا في بني قريظة، فسار الناس فأدرك بعضهم العصر في الطريق، فقال بعضهم: لا نصلي حتى نأتيها، وقال بعضهم: بل نصلي، ولم يرد منا ذلك، فذكروا ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فلم يعنف أحدًا منهم. (أخرجه

البخاري من حديث عائشة رضي الله عنها، واللفظ له).

ب- ومن مظاهر اهتمام الوحي بهذه الغزوة امتنان القرآن على المسلمين بجعلها مقرونة بغزوة الأحزاب، حيث قال سبحانه: «وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُواْ خَيْرًا ۚ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴿٢٥﴾ وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَٰهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ﴿٢٦﴾ وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَٰرَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَـُٔوهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرًا » (الأحزاب:٢٧).

فانظر كيف ذكر القرآن الكريم نعمة الله على المؤمنين في المدينة بنعمة رد الأحزاب يجرون أذيال الخيبة والهزيمة ثم عقب بعدها مباشرة بالحديث عن تمكين الله المسلمين من رقاب بني قريظة وأرضهم وأموالهم كما ذكرت الآيات المباركة، وفي ذلك من الإشارة بإتبارط الغزوتين وبيان أن سبب غزوة بني قريظة هو ما وقع منهم من نقض للعهود وموالاة للمشركين ضد المسلمين فكانوا يمثلون الحزب الثالث من الأحزاب المجتمعة حول المدينة أو الجناح الثاني جناح من الخارج يمثل قريش وغطفان وجناح من الداخل يمثله يهود بني قريظة، ولذلك لم تضع الملائكة أسلحتها منذ انتهاء غزوة الخندق، وقد أخبر جبريل عليه السلام النبي بذلك، ومن هنا أدرك النبي صلى الله عليه وسلم أهمية المسارعة بتنفيذ أمر الله في سرعة الخروج ودعا المسلمين إلى ذلك فبادروا.

المحور الثاني: ماذا حدث من يهود بني قريظة يوم الخندق؟

أجمع كُتاب السيرة أن شيطان خيبر وزعيم بني النضير حُيي بن أخطب هو الذي زين للقوم خيانة عهدهم مع رسول الله، ولكي يطمئنهم إلى نجاح خطته سلم نفسه لهم ودخل معهم في حصونهم فكان الجزاء من جنس العمل فقُتل مع من قتل منهم، كما أجمع أصحاب المغازي والسير على أن زعيم يهود بني قريظة (كعب بن أسد) لم يكن راغبًا مطلقًا في نقض العهد مع المسلمين، بل وأغلق بابه دون حُيي بن أخطب عندما علم بحضوره، ولكن الشيطان ما زال به حتى أدخله عليه، فقال حيي بن أخطب لكعب: ويحك يا كعب! جئتك بعز الدهر، وجئتك بقريش حتى أنزلتهم بجمع الأسيال وبغطفان حتى أنزلتهم بجانب أحد، وقد عاهدوني أن لا يبرحوا حتى يستأصلوا محمدًا ومن معه، فقال له كعب: جئتني والله بذل الدهر وكل ما يُخشى، فإني لم أر في محمد إلا صدقًا ووفاء، جئتني بجهام قد هراق ماؤه فهو يرعد ويبرق ليس فيه شيء، (يقصد كعب بقوله هذا أن هذه الجيوش على كثرتها ليست إلا كالسحاب العظيم الذي تصك رعوده الأذان ويخطف برقه الأبصار وليس فيه قطرة ماء، وهذا القول ورب الكعبة يدل على حكمة الرجل... أو على إيمانه بصدق النبي وأن الله ناصره، لكن منعته الزعامة والرياسة عن إعلان إسلامه والدخول الصريح مع المسلمين، والله أعلم.

ثم قال كعب: «ويحك يا حبيب فدعني وما أنا عليه فإني أرَ محمداً إلا صدقًا ووفاء». ومع إلحاح حيي بن أخطب وفكره وخبثه دعا كعب بن أسد لاجتماع حضرة زعماء بني قريظة وعرض عليهم ما عرضه عليه شيطان بني النضير، فتكلم زعماؤهم وعقلاؤهم في هذا المجلس وهو منهم عمرو بن سُعدي، فنصح القوم وحذرهم من مغبة نقض العهد وذكرهم بوفاء محمد الدائم وصدقه في معاملته لهم وأنهم ملزمون بالقتال إلى جانبه بحسب العهد الذي بينه وبينهم، فكيف يسوغ لهم أن يشهروا السلاح في وجهه ويعينوا عدوه عليهم؟

وطلب منهم ألا يستجيبوا لكلام حيي بن

أخطب وأن يحملوا السلاح مع المسلمين أو على الأقل يكونوا على الحياد قائلاً: «إن لم تنصروا محمداً فاتركوه وعدوه». ولكن وساوس وتأثيرات حيي بن أخطب كانت أقوى من كل معارضة- كما قال ابن إسحاق: «ما زال حيي بن أخطب يفتل في الذروة الغارب ويستدرج زعماء بني قريظة حتى أجابوه إلى ما طلب فوافقوا على نقض العهد والغدر بالمسلمين بشريطة أن يبقى حيي معهم ليصيبه ما أصابهم».

وغلب طيش كعب عقله وجمع زعماء بني قريظة ومزقوا الصحيفة التي فيها المعاهدة بينهم وبين المسلمين إلا عمرو بن سعدي فقد أصر على موقفه النبيل من عدم الغدر بمحمد والمسلمين، وكان معه في ذلك ثلاثة هم ثعلبة وعبيد أبناء شعبة وأسد بن عبيد، هؤلاء الثلاثة خرجوا وأعلنوا إسلامهم وعصموا دماءهم وأموالهم أما عمرو بن سعدي فبقى على يهوديته لكن نجاه من القتل صدقه ووفاؤه ولما تتطايرت الأخبار وسمع بها النبي صلى الله عليه وسلم قال ابن إسحاق: فأرسل النبي صلى الله عليه وسلم: وقد كان هذا الوفد مكوناً من سعد بن معاذ رضي الله عنه وهو سيد الأوس وسعد بن عبادة سيد الخزرج وعبد الله بن رواحة وأسيد بن حضير والجميع من الأنصار، وكانت المفاجأة أن يهود بني قريظة قد أصروا على موقفهم وأساؤوا إلى الرسول وإلى هذا الوفد الكريم وما نقله ابن إسحاق أن بني قريظة بمجرد سماعهم ذكر النبي صلى الله عليه وسلم والحديث عن العهد قالوا: «من هو رسول الله هذا؟» ثم رجعوا قائلين: «لا عهد بيننا وبين محمد وهو الذي كسر جناحنا وأخرج إخواننا بني النضير، اذهبوا لا عهد بيننا وبين محمد ولا عقد». وبهذا الكبر والغرور والكذب والبهتان استقبل اليهود وفد المسلمين وفيهم زعيم الأوس وسيدهم سعد بن معاذ وكانوا موالين للأوس، ولكن موالاتهم للشيطان وللكافرين غلبت عليهم فصاروا مثلهم وبهذا أعلنوا الحرب على المسلمين صريحة دون مواربة ووضعوا أنفسهم في خندق واحد مع الأحزاب، فكان لا بد من التعجيل بهم بعد رحيل الأحزاب التي جاءت من مكة وغطفان، ولهذا السبب نزل جبريل عليه السلام في كوكبة من الملائكة، بل لم يضعوا سلاحهم منذ كانوا في الخندق مع المسلمين، وحث جبريل النبي صلى الله عليه وسلم كما حث النبي المسلمين فبادروا لتنفيذ الأمر- مع ما كانوا عليه من تعب وشدة بعد الخندق.

المحور الثالث: حصار بني قريظة:

من الواضح أن المعركة لا يدبرها جنود السماوات والأرض، أما جنود السماء فهم الملائكة بقيادة جبريل عليه السلام وأما جنود الأرض فهم المسلمون بقيادة النبي الأمي عليه الصلاة والسلام، والأمر يدار من فوق سبع سماوات بتدبير من رب السماوات والأرض العزيز الحكيم، ولهذا ذكر صاحب موسوعة الغزوات الكبرى (محمد باشميل) عندما ساق حديث جبريل مع النبي صلى الله عليه وسلم الصحيح أن الملائكة لم تضع أسلحتها بعد.

قال باشميل: «وفي بعض الروايات أن النبي طلب التأجيل أياما ليأخذ فيها جنده بعض الراحة، فقال بديل: انهض إليهم فوالله لأدقنهم كدق البيض على الصفا ولأدخلن هذا عليهم في حصونهم ثم لأصعصنها، فكانت مهمة الملائكة إذن قذف الرعب بإذن الله وزلزلة أصحاب الحصون المنيعة من بني قريظة، ومهمة جنود المسلمين الحصار الخارجي المباشر والتعامل مع الأعداء فاجتمع على بني قريظة حصاران من الداخل والخارج ولذلك لم يتحملوا الحصار مع أنه لم يكن طويلاً فلم يدم أكثر من خمسة وعشرين يومًا كما ذكر ابن إسحاق وعند ابن سعد دام فقط

خمسة عشر يومًا.

قال صاحب الرحيق المختوم: «ولما اشتد عليهم الحصار عرض عليهم رئيسهم كعب بن أسد ثلاث خصال: ١- إما أن يسلموا ويدخلوا مع محمد في دينه، فيأمنوا على دمائهم وأموالهم وأبنائهم ونسائهم وقد قال لهم: والله لقد تبين لكم أنه لنبي مرسل، وأنه الذي تجدونه في كتابكم. ٢- تقاتلون بالسيوف وجهًا لوجه هو وأصحابه فإما أن ينتصر عليهم أو يموتوا عن آخرهم والثالثة أن يندفعوا إلى المسلمين في يوم سبت ويفكوا الحصار عنوة فأبوا أن يجيبوه إلى واحدة من هذه الخصال». اهـ.

ولما رفض اليهود ما عرضه عليهم زعيمهم كعب بن أسد غضب وقال لهم: «ما بات أحد منكم منذ ولدته أمه ليلة واحدة حازمًا». وكان بإمكان اليهود أن يتحملوا الحصار لشهور لأنهم محصنون في حصون منيعة وعندهم الطعام والماء الذي يكفيهم لكن الرعب قد أصابهم فلم ينتفعوا بشيء مما يملكون من طعام أو سلاح، وحينئذ بادروا بالنزول على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأمر باعتقال الرجال، فوضعت القيود في أيديهم تحت إشراف محمد بن مسلمة الأنصاري، وجعلت النساء والذراري بمعزل عن الرجال في ناحية أخرى، وقامت الأوس إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فقالوا: يا رسول الله، قد فعلت في بني قينقاع ما قد علمت (يعني الجلاء) وهم حلفاء إخواننا الخزرج، وهؤلاء موالينا، فقال: «ألا ترضون أن يحكم فيهم رجل منكم؟» قالوا: بلى. قال: فذلك سعد بن معاذ. قالوا: رضينا». (راجع ابن إسحاق، وزاد المعاد، وابن كثير).

فأرسل النبي صلى الله عليه وسلم إلى سعد، وكان بالمدينة لأنه كان مصاباً بجرح عميق في غزوة الخندق وكان يعالج منه، فجيء به على حمار يركبه من المدينة إلى قريظة التي تبعد حوالي عشرة كيلو مترات عن مسجد النبي بالمدينة، والتف قومه حوله يطلبون منه الإحسان في بني قريظة وهو ساكت لا يرجع إليهم بقول: فلما أكثروا عليه قال: «لقد آن لسعد ألا تأخذه في الله لومة لائم».

ويواصل صاحب الرحيق المختوم تلخيص القول نقلاً من كتب التاريخ والسير فقال: «ولما انتهى سعد إلى النبي صلى الله عليه وسلم، قال للصحابة: قوموا إلى سيدكم». فلما أنزلوه قال: يا سعد إن هؤلاء قد نزلوا على حكمك (يقصد اليهود)، قال: وحكمي نافذ عليهم؟ قالوا: نعم. قال: وعلى المسلمين قالوا: نعم. قال: وعلى من هاهنا وأعرض بوجهه وأشار بيده ناحية رسول الله إجلالاً وتعظيمًا. قال النبي صلى الله عليه وسلم: «نعم وعليَّ». قال: فإني أحكم فيهم أن يقتل الرجال، وتسبى الذرية، وتقسم الأموال. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبع سماوات». قال الشيخ الألباني رحمه الله: وأصل القصة عند الإمام البخاري بدون لفظة: «من فوق سبع سماوات». وقال صاحب الرحيق: «وكان حكم سعد في غاية العدل والإنصاف فإن بني قريظة بالإضافة إلى ما ارتكبوا من الغدر الشنيع، كانوا قد جمعوا لإبادة المسلمين ألفًا وخمسمائة سيف وألفين من الرماح وثلاثمائة من الدروع وخمسمائة ترس مصل عليهم المسلمون بعد فتح ديارهم». اهـ.

وقبل أن نترك هذا المكان نقارن مقارنة سريعة بين موقف سعد بن معاذ رضي الله عنه وموقف زعيم المنافقين ابن سلول وهي مقارنة بين موقف أهل الإيمان الحق وأهل النفاق من أحكام الله ورسوله ومن موالاة أعداء الله ورسوله، وللوقوف مع الدروس والعبر المستفادة من هذه الغزوة نلتقي بإذن الله وإلى ذلك نسأل الله تعالى لنا ولكم الثبات على دينه حتى نلقاه.

آمين، آمين.

قواعد وآداب في التعامل بين الشيوخ والشباب

الجزء الثاني

الحل الاجتماعي والنفسي لمشكلة العاطفة وتغلبها على الشباب

إعداد: د. عبد الرحمن بن صالح الجيران

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداه، وبعد:

فقد تحدثنا في مقال سابق عن أهم العوامل التي تساعد الشباب على التغلُّب على العاطفة وما يتبعها من آثار قد تكون سلبية مؤثرة على شخصيته وتكوينه الاجتماعي، ثم قلنا: فما عسى أن يصلح الشيوخ في الشباب، والآباء في الأبناء إن أرادوا إصلاحاً؟ وقلنا: إذن فما الحل الشرعي؟

نقول: الحل الشرعي:

قال الله تعالى: «وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا» (الكهف: ٢٨).

قال البربهاري في «شرح السنة» (ص٤٨): «عليك بالآثار، وأهل الآثار، وإياهم فاسأل، ومعهم فاجلس، ومنهم فاقتبس».

وعن عمرو بن قيس الملائي قال: «إذا رأيت الشاب أول ما ينشأ مع أهل السنة والجماعة، فارْجُه، وإذا رأيته مع أهل البدع، فايأس منه، فإن الشاب على أول نشوئه». (الإبانة: ٤٨١/٢، ٥١٨).

وقال: «إن الشاب ينشأ، فإن آثر أن يجالس أهل العلم كاد أن يَسْلَم، وإن مال إلى غيرهم، كاد أن يعطب».

وقال الصديق حسن خان رحمه الله: «عليك يا باغي الخير، وطالب النجاة بلا ضير، أن تكون محدثاً، أو متطفلاً على المحدثين، وإلا فلا تكن.. فليس فيما سوى ذلك من عادة تعود إليك».

(صفة صلاة النبي صلى الله عليه وسلم ص١٧٦).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: «كما أنه لم يكن في القرن أكمل من قرن الصحابة فليس في الطوائف بعدهم أكمل من أتباعهم، فكل من كان للحديث والسنة وآثار الصحابة أتبع كان أكمل، وكانت تلك الطائفة أولى بالاجتماع والهدى، والاعتصام بحبل الله، وأبعد عن التفرق والاختلاف والفتنة، وكل من بعد عن ذلك كان أبعد عن الرحمة وأدخل في الفتنة». (منهاج السنة: ٢٤٦/٦).

وكانت من مهمة النبي صلى الله عليه وسلم ما بيَّنه الله تعالى في كتابه بقوله: «وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ» (البقرة: ١٢٩).

ولما لازموا النبي صلى الله عليه وسلم انتفعوا بلفظه ولحظه، واستفادوا من قوله وفعله، وخرج لنا هذا الجيل الفذ الفريد.

فقد كان صلى الله عليه وسلم يعايش أصحابه، ويرى زلاتهم فيقومهم، ويطلع على مشكلاتهم المختلفة فيوفق في حلها، يكملهم ويربيهم ويجملهم، فهذا يقول له: «ثكلتك أمك». وتارة يقول له: «أفتَّان أنت يا معاذ؟» وهؤلاء يقول لهم: «دعوه لا تزرموه، إنما بُعثتم ميسرين ولم تبعثوا معسرين»، وآخر يوصيه: «لا تغضب»، ولما سمع عمر يحلف بأبيه قال: «لا تحلفوا بآبائكم».

ولما عيَّر أبو ذر رجلاً بأمه، قال له: «إنك امرؤ فيك جاهلية». ولما رأى أبا مسعود البدري يجلد عبده، قال له: «اعلم أبا مسعود أن الله أقدر عليك

منك عليه». ورأى أحدهم مسبلاً فيقول له: «ارفع إزارك». ويرى أحدهم وافر الشارب فيدعو بالسواك والمقراض فيقص له شاربه بنفسه، فيهتم بخَلقهم، وخُلقهم.

ويحفظهم القرآن والسنة بنفسه، كما قال جابر رضي الله عنه: «كان يعلمنا الاستخارة كما يعلمنا السورة من القرآن». ويقول ابن مسعود: «تعلمت من النبي صلى الله عليه وسلم التشهد وكفي في كفه كما يعلمنا السورة من القرآن».

وكان يختبر ما عندهم من فقه، كما سألهم مرة عن شجرة تشبه المؤمن.. إلى غير ذلك كثير جدًا.

فما عسى أن يقول بعض الشيوخ اليوم ممن قد لا يعرف أسماء طلابه، لا يتفقدونهم ولا يتركونهم ، يلازمونهم، فيأتي الشيخ المدرس أو المحاضرة يحمد الله ويثني عليه ثم يلقي كلمته ثم الصلاة على محمد صلى الله عليه وسلم، فهل قام الشيخ بواجبه المنوط به، وكذا الطالب جعل العلم كأنه كم من المعلومات.

فما فائدة الشيخ إذن؟ وما الفرق بين الشيخ وشريط التسجيل يُسمع أو كتاب يُقرأ؟! بل قد يكون في الكتاب من العلم المنضبط أكثر بكثير من الشيخ أو الدكتور أو نحو هؤلاء.

وهناك أمور أخرى منها ما ذكرها الشيخ العلامة ابن عثيمين رحمه الله إذ يقول: «يوجد في بعض الشباب اليوم الذين منَّ الله عليهم بالهداية، وحرصوا كل الحرص على تطبيق الشريعة، يوجد فيهم شيء من التنافر على خلاف يسعهم الاختلاف فيه؛ لأنه محل اجتهاد والنصوص تحتمل هذا وهذا، ولكن بعض الشباب يريد أن يكون جميع الناس تبعًا لرأيه فإن لم يتبعوا رأيه فإنه يعتبرهم على خطأ وضلال، وهذا خلاف ما كان عليه أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ومن بعدهم من الأئمة.. وأقول كل إنسان يرى أنه يجب على الناس أن يتبعوه، فإنه قد اتخذ لنفسه مقام الرسالة». (ضوابط وتوجيهات ص٤٢).

قلتُ: وهنا نذكر هؤلاء الشباب بأهمية ملاحظة جانب الإخلاص في القول والعمل، ونذكّرهم بحديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «إن أول الناس يُقْضَى بينهم يوم القيامة رجل استشهد فأتي به فعرَّفه نعمه فعرفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: قاتلت فيك حتى استشهدت، قال: كذبت، ولكنك قاتلت لأن يقال جريء، فقد قيل: ثم أمر به فسُحب على وجهه حتى ألقي في النار، ورجل تعلم العلم وعلمه وقرأ القرآن فأتي به فعرَّفه نعمه فعرفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: تعلمت العلم وعلمته، وقرأت فيك القرآن، قال: كذبت، ولكنك تعلمت العلم ليقال عالم، وقرأت القرآن ليقال قارئ، فقد قيل، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار..» الحديث. (صحيح مسلم: ٥٠٣٢).

فهذه الأعمال والمغانم التي جاءت في الحديث، وهي الشهادة في ساحة القتال وتعلم العلم وقراءة القرآن والإنفاق في سبيل الله كلها تحولت إلى مآثم بسبب تحول النية من الإخلاص لله تعالى إلى ملاحظة ما عند الناس، والله تعالى يقول في الحديث القدسي: «أنا أغنى الشركاء عن الشرك، مَن عمل عملاً أشرك فيه غيري تركته وشركه». (أخرجه مسلم في كتاب الزهد والرقائق، باب من أشرك في عمله غير الله).

إن مراعاة جانب الإخلاص في الأقوال والأعمال يقضي على كثير من الآفات والانحرافات، كيف لا وهذا شعار الأنبياء والأصفياء؛ حيث طووا عنهم رغبات الدنيا والأهواء المهلكة، وتآلفت قلوبهم واجتمعت على إيثار الله والدار الآخرة فجاءتهم الدنيا وهي راغمة.

وهكذا ينبغي للشباب أن يديم المراقبة لنفسه وما يختلج فيها ويحاسبها ولا يتركها تسير على هواها لئلا ترديه.

يقول الحسن البصري رحمه الله: «رحم الله عبدًا وقف عند همه، فإن كان لله أمضاه، وإن كان لغيره تأخر». (آداب النفوس ص٦٣).

ويقول الحارث المحاسبي رحمه الله: «وحاجة العبد إلى معرفة نفسه وهواها، وعدوه، ومعرفة الشر أشد إن كان كيسًا وهو إلى ذلك أفقر إن كان فطنًا معنيًا بنفسه».

أما عن الحل الاجتماعي؛ فهذا ما نتحدث عنه في العدد القادم إن شاء الله تعالى، والحمد لله رب العالمين.



الحلقة الثانية

فقر المشاعر بين الطلاب والمعلمين

إعداد د. محمد إبراهيم الحمد

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، وبعد:

فقد تحدثنا في المقال السابق عما ينبغي أن يكون عليه المعلمون لطلابهم، وأن يكونوا مثل الوالد مع ولده، وأوردنا ما يرسِّخ المحبة وينمِّيها بين المعلم والطلاب، وقلنا: إذا أحببت الطلاب وأحبوك وجدتَ سعادتك بينهم أكثر مما تجدها في البيت بين الأصحاب، ثم أوردنا نبذة عن أحوال المعلمين مع الطلاب، وأحوال الطلاب مع المعلمين، ثم ضربنا مثالاً لذلك لترجمة الإمام الفاتح أسد بن الفرات، وقلنا: إنه لما كان يأخذ العلم عن الإمام محمد بن الحسن الشيباني، تلميذ الإمام أبي حنيفة كان الإمام محمد بن الحسن إذا رأى تلميذه أسد ابن الفرات غلب عليه النوم وهو يسهر في تلقي العلم عنه نضح على وجهه الماء، ليجدد له نشاطه، شفقةً منه عليه، ورغبةً منه في أن ينهض إلى مستوى الإمامة في العلم.

ونقول: لولا أن محمد بن الحسن تأدب بأدب الإسلام، وعمل بالمبدأ المحمدي في أن يكون لتلميذه كما يكون الوالد لولده لانتهز فرصة غلبة النوم على تلميذه، وأرجأ الدرس إلى الليلة الثانية. هذا مع ما عُلم من مقام الإمام محمد بن الحسن في الدولة، وكثرة أعماله العلمية، لكنه لما كان يعلم أن من أدب الإسلام أن يكون التلميذ بمنزلة الولد من الوالد التزم مع أسد بن الفرات هذا الأدب الرحيم، وكان من نتيجة ذلك نبوغُ أسد بن الفرات وقيامه للملة الإسلامية بما لا يقوم بمثله إلا أفذاذ النوابغ من صفوة البشر.

ويقصُّ علينا التاريخ أن في الأساتذة من يحرص على أن يرتقي طلابه في العلم إلى الذروة، ولا يجد في نفسه حرجاً من أن يظهر عليه أحدهم في بحث أو محاورة.

يذكرون أن العلامة أبا عبد الله الشريف التلمساني كان يحمل كلام الطلبة على أحسن وجوهه، ويبرزه في أحسن صوره.

ويروى أن أبا عبد الله هذا كان قد تجاذب

مع أستاذه أبي زيد ابن الإمام الكلام في مسألة، وطال البحث اعتراضًا وجوابًا، حتى ظهر أبو عبد الله على أستاذه أبي زيد، فاعترف له الأستاذ بالإصابة، وأنشد مداعباً:

أعلمه الرماية كل يوم

فلما اشتد ساعده رماني

والذي يقرأ مثل هذه السِّيَر تهتز في نفسه عاطفة احترام لمن أقر بالخطأ، أو اعترف لخصمه بخصلة حمد، وربما كان إكبارهم لمن أقر بالخطأ فوق إكبارهم لمن خالفه فأصاب، وسبب هذا الإكبار عظمة الإنصاف، وعزة من يأخذ نفسه بها في كل حال.

وهذا الشيخ ابن التلمساني، أحد كبار علماء شمال إفريقيا سأله السلطان عن مسألة فقال: إن تلميذي فلانًا يُحسن الجواب عنها، فوجَّه السلطان السؤال إلى تلميذ ابن التلمساني، فأحسن الجواب، فأجازه وأحسن منزلته، وكان ابن التلمساني أعلم من تلميذه فيما سأله عنه السلطان، لكنه، لاعتباره تلميذه بمنزلة ولده أراد أن ينوِّه به في حضرة السلطان كما لو كان ولده حقًا.

والطلبة في دستور الإسلام عرفوا كيف يقابلون هذا العطف الأبوي من أساتذتهم بما يكافئه من حرمة ومحبة وإجلال، ومن أقدم الأمثلة على ذلك ما رواه الشعبي، أن زيد بن ثابت رضي الله عنه صلى على جنازة، ثم قربت إليه بغلته ليركبها، فبادر إليه عبد الله بن عباس، فأخذ بزمام البغلة، ليساعده على الركوب، فقال له زيد: خل عنه يا ابن عم رسول الله، فأجابه ابن عباس- رضي الله عنهما-: هكذا أمرنا أن نفعل بالعلماء.

وقد حافظت ذرية ابن عباس على هذا الأدب من التلاميذ نحو أساتذتهم بعد أن صار بنو العباس ملوك الدنيا، فقد نقل برهان الإسلام الزرنوجي، في كتاب تعليم المتعلم طرق التعلم: (أن أمير المؤمنين هارون الرشيد بعث ابنه إلى الأصمعي، ليعلمه العلم والأدب، فرآه يومًا يتوضأ ويغسل رجله، وابن الخليفة يصبُّ الماء على رِجْله، فعاتب الخليفة الأصمعي



بقول: إنما بعثته إليك لتعلمه وتؤدِّبه، فلماذا لم تأمره بأن يصبَّ الماء بإحدى يديه، ويغسل بالأخرى رجلك؟

فانظر كيف رأى أنَّ تقصير ابنه في ذلك تقصيرٌ في أدب التلميذ مع أستاذه.

وقد علِمنا من سيرة ابن خلدون أنه لما رُزِئَ بوفاة كبار شيوخه وكان منهم القاضي محمد ابن عبد السلام، والرئيس أبو محمد الحضرمي، والعلامة محمد بن إبراهيم الأبلي، ضاق به وطنه، فترك مقامه الوجيه الذي وصل إليه في قصر الإمارة، ورحل عن تونس إلى الجزائر والمغرب الأقصى؛ لأن مقام أساتذته كان في نفسه فوق كل مقام.

وهذه المحبة الصحيحة التي يكنُّها التلميذ لأستاذه هي التي حملت العالم أحمد بن القاضي على أن يقول في شيخه المنجوري: (وصارت الدنيا تصغر بين عيني، كلما ذكرت أكل التراب للسانه، والدود لبنانه).

إن هذا الأدب الإسلامي الذي جعل من الطلبة أبناء للأساتذة كفلذات أكبادهم، وجعل من الأساتذة آباء لتلاميذهم يعطفون عليهم أكثر من عطف الآباء على أبنائهم، هو الأدب اللائق بنا أن نرجع إليه لنجدد في تاريخنا عهدًا سعيدًا، فننعم به ونسعد بنعمته، والطلبة الذين يكتسبون من دراستهم مثل هذا الأدب ينالون به من السعادة أضعاف ما ينالون به من دراسة العلم مهما تقدموا فيه.

وللحديث بقية إن شاء الله، والحمد لله رب العالمين.

جماعة أنصار السنة المحمدية

تأسست عام ١٣٤٥ هـ - ١٩٢٦ م

ومن أهدافها

١- الدعوة إلى التوحيد الخالص المطهر من جميع الشوائب، وإلى حب الله تعالى حبًّا صحيحًا صادقًا، يتمثل في طاعته وتقواه، وحب رسوله صلى الله عليه وسلم حبًّا صحيحًا صادقًا، يتمثل في الاقتداء به واتخاذه أسوة حسنة.

٢- الدعوة إلى أخذ الدين من نبعيه الصافيين: القرآن والسنة الصحيحة، ومجانبة البدع والخرافات ومحدثات الأمور.

٣- الدعوة إلى ربط الدنيا بالدين بأوثق رباط: عقيدةً وعملاً وخُلُقًا.

٤- الدعوة إلى إقامة المجتمع المسلم، والحكم بما أنزل الله، فكل مشرّع غيره - فيما لم يأذن به الله تعالى - معتد عليه سبحانه، منازع إياه في حقوقه.



تمور الطحان
أصالة الزمان
وعليك أن تتذوق
ISO 22000
Safety Seal
تمور
أصالة الزمان
عسل التمر
DATES HONEY
طبيعي ١٠٠ ٪
مصر
علامة الجودة
www.altahhandates.com
خدمة العملاء
01284447778
01128911113
(+2) 01067717725
Altahhan.goldendates
محافظة الوادي الجديد
قلعة صناعة التمور فى مصر